عهد أردشير

حققه وقدم له

الدكتور إحسان عباس

دار صادر
بيروت

الحقوق محفوظة للمحقق

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

مقدمة

تعريف موجز بأردشير

يحتلّ أردشير في تاريخ الفرس مقاماً هامّاً رفيعاً ، فهو الذي قضى على حكم ملوك الطوائف ، وأعاد للأمبراطوريّة الفارسيّة، بعد توحيد أجزائها وتوسيع رقعتها ، مجدها القديم الذي كان لها في أيّام كورش ودارا الكبير ، وردّ لعقيدة زرادشت مكانتها القديمة وعمد إلى إحياء رسومها ، وبذلك هيّأ للفرس الوحدة السياسيّة وقوّة الرابطة الدينيّة ، وكان مؤسّس الدولة الساسانيّة الّتي ظلّ ملوكها يتولون الحكم حتّى ظهور الإسلام ، ومن أجل الأعمال الهامة الّتي قام بها أردشير عُرف بلقب « الجامع »[1] ، وهو لقب يرمز إلى الوحدة الّتي حقّقها ، كما عُرف ملكه باسم « ملك الاجتماع »[2] .

ولست هنا بسبيل حديث مسهب عن أردشير في تحقيق نسبه وتصوير نشأته والتحدّث عن أعماله الحربيّة وعن شتّى إصلاحاته ،

١ البدء والتاريخ ٣ : ١٥٦ .
٢ التنبيه والإشراف : ٩٩ .

وإنّما أعمد في هذه النبذة إلى شيء يسير يكون كالمقدمة اللازمة بين يدي هذا النص المسمّى بعهد أردشير ، ومن شاء التوسّع في ما يتصل بأخباره وجد ذلك ميسوراً في المصادر العربيّة[1] ، فلأردشير فيها صورة واضحة نسبيّاً ، وإن لم تسلم هذه الصورة من بعض الجوانب الأسطوريّة ؛ وسرّ هذا الوضوح كامن في اعتمادها على مصادر فارسيّة مفصلة معتمدة في كثير من جوانبها ، ولأردشير نفسه يدٌ في توجيه تلك المصادر ، فقد قام — كما يحدّثنا المسعودي[2] — بضبط سيرته وعهوده وأيّامه وحروبه ، واطّرح ما قبل ذلك وتناساه لكي يكون الذكر لأيّامه وسيرته .

ومجمل القول أن أردشير بن بابك ثار على أردوان آخر ملوك الطوائف وانتزع الملك من يده ، وقضى اثني عشر عاماً في أعمال حربيّة مع الحكّام الصغار وضدّ الدولة الرومانيّة وأرمينية حتى استطاع أن يؤسّس دولة واضحة الحدود والمعالم ، وينصرف بعد ذلك إلى الإصلاحات الداخلية ، فإذا عرفنا أن حكمه كلّه كان أقلّ من خمسة عشر عاماً ، أدركنا أي جهد بذله في التأسيس والتأثيل ؛ وقد لخّص اليعقوبي جهوده الحربيّة في كلمات قليلة فقال : «وكان ملكه بإصطخر وامتنع عليه بعض كُوَر

١ انظر تاريخ الطبري ٢ : ٣٧ — ٤٣ (١ : ٨١٣ — ٨٢٢ ط . أوروبة) وغرر السير : ٤٧٣ — ٤٨٠ ومروج الذهب ١ : ٢٤٥ وما بعدها والأخبار الطوال : ٤٢ وتاريخ سني ملوك الأرض : ٤٢ .

٢ التنبيه والإشراف : ١٩٦ .

فارس فحاربهم حتى فتحها ثمّ صار إلى أصبهان ، ثمّ صار إلى الأهواز ثمّ إلى ميسان ثمّ رجع إلى فارس فحارب ملكاً يقال له أردوان فقتله . . . ثمّ صار إلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان ثم صار إلى سواد العراق فسكّنه وصار إلى خراسان فافتتح كُوَراً منها »[1] .

ولما فرغ أردشير من هذه الشؤون « اقتعد سرير الذهب واعتصب بالتاج وأذن للخاص والعامّ فحيّوه بالشاهانشاهية ودعوا له وأثنوا عليه فقال لهم : قد أنزل الله الرحمة وجمع الكلمة وأقرّ النعمة واستخلفني على عباده وبلاده لأتدارك أمر الدين والملك اللذين هما أخوان توأمان وأقيم رسوم العدل والإحسان »[2] ؛ وقد صدق فعل أردشير قوله ، إذ وجّه همّته إلى الإصلاح الديني وتحسين حال الإدارة ووضع قواعد الحكم والجباية ، وإحياء الكتب ونشر العلم .

وكان الدين — بعد أمر الدولة — أكبر شيء استأثر باهتمامه ، ذلك أنّه وجد أن مذهب زرادشت قد اضمحلّ شأنه في أيّام ملوك الطوائف فعمد إلى إحيائه بكلّ وسيلة ، فأمر بتحطيم الأصنام وإزالة الصور ، وبنى بيوت النيران في كثير من البلاد وأمر بإيقاد النار بعد أن كانت قد أطفئت أيّام ملك الطوائف[3] . وعمد إلى جمع

١ تاريخ اليعقوبي : ١ : ١٥٩ .

٢ غرر السير : ٤٨٠ .

٣ G. Rawlinson, The Seventh Great Oriental Monarchy p. 57.

تعاليم زرادشت في مجلّد واحد لكي تكون معتمداً موثوقاً في الشؤون الدينيّة بحيث ينصاع لها الجميع ؛ وكان الإسكندر قد أحرق بعض كتاب زرادشت المعروف بالأبستاق (Avesta) ، فلمّا جاء أردشير « جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها (إسناد) » فلم يعد المجوس من عهدئذ يقرأون غيرها[1] ؛ وكان المجوس أنفسهم قبل عهده قد انقسموا إلى فرق ، فأراد بذلك توحيدهم في مذهب واحد ، وتحقيقاً لهذه الغاية ، دعا إلى عقد مجمع عامّ يحضره المجوس من جميع جهات الأمبراطوريّة ؛ ومن بين الألوف التي شهدت ذلك المجمع اختير سبعة موابذة يرئسهم الموبذ الأكبر — أو موبذ موبذان — أقرّوا التعاليم التي يحتاجون إلى قراءتها من كتاب زرادشت ؛ وكانت لغة الأبستاق قد أصبحت كلاسيكيّة قديمة ، ولا بدّ لها من تفسير وتعليقات، فندب رجال الدين إلى ذلك فقاموا بصنع التفسيرات والتعليقات اللازمة ، وهي ليست أوّل تفسير لذلك الكتاب ، بل إن زرادشت نفسه كان قد فسّره بكتاب آخر سمّاه « زند » ثمّ فسّر التفسير بكتاب ثالث سمّاه « بازند »[2] .

ومن أجل أن يؤمن أردشير هذه الحركة الإصلاحيّة منح رجال الدين سلطة واسعة وأشركهم في إدارة الدولة ونصبهم في كلّ مكان لإقامة الأحكام حسب المبادىء الدينيّة[3] وأعلن أن الدين والدولة

١ مروج الذهب ١ : ٢٢٩ — ٢٣٠ والبدء والتاريخ ٣ : ١٥٦ .
٢ مروج الذهب : ١ : ٢٣٠ .
٣ غرر السير : ٤٨٥ .

توأمان أو كما قال في عهده : « اعلموا أن الملك والدين أخوان توأمان لا قوام لأحدهما إلاّ بصاحبه لأن الدين أسّ الملك وعماده ثمّ صار الملك بعدُ حارس الدين فلا بدّ للملك من أسه ولا بدّ للدين من حارسه ، لأن ما لا حارس له ضائع وما لا أسّ له فمهدوم »[1] ؛ وكان يكثر من الكتب إلى عماله يأمرهم فيها بالمحافظة على الدين وإقامة أحكامه في الناس[2] ؛ ولم ينسَ في غمرة هذه الحماسة للدين أمر العلم بل أمر بتحصيل نسخ الكتب الطبيّة والنجوميّة وأنفق الكثير في الحصول عليها[3] .

ومن الطبيعي أن يخصّ أردشير الجيش بعنايته فقد خبر قيمة الجيوش في الحروب التي خاضها ، فأحبّ أن يكون للدولة جيش قوي كثيف ، « فألزم كلّ من رُزق ابناً أن يعلمه ألقاب الفروسيّة ومراسمها ، حتى إذا استكمل أسباب ذلك وأحكمها واستوفى أقسامها واستوعبها ، صار إلى باب الملك فيكتب العارض في جريدة الجيش اسمه ، ويعطيه من المعيشة رسمه ، فإذا عرض حرب أو حدث خطب سار تحت راية بهلوان الجيش ، ووكل على كلّ ألف منهم موبذاً خبيراً بالأمور ، عارفاً بأحوال الجمهور ، وجعله عليهم كالرقيب يخبره بما يرى من غَنائهم ، ويطلعه على شجاعهم وجبانهم ، فيأمر الملك حينئذٍ بإكرام الشجاع وإثباته في ديوان الجيش،

١ العهد ، الفقرة : ٤ .
٢ البدء والتاريخ ٣ : ١٥٦ .
٣ مروج الذهب ١ : ٢٣٠ والبدء والتاريخ ٣ : ١٥٦ .

وإسقاط الجبان وتعريضه لما يتأتى منه من الحرف والأشغال ، ولم يزل ذلك دأبه حتّى جمع جنوداً كاد يغصّ بهم فضاء الأرض ولا يسعهم نطاق العدّ والحصر »[1] .

وإلى أردشير يعزى الفضل في كثير من القواعد والنُّظم الإداريّة والإنشاءات العمرانيّة ، فقد بنى ثمانياً من المدن ، وقسم البلاد إلى كُوَر ورتب شؤون الخراج ، ويقول المسعودي إنّه جعل المراتب سبعة أفواج : فأوّلها الوزراء ثمّ الموبذان وهو القائم بأمور الدين وهو قاضي القضاة ورئيس الموابذة ، وجعل الأصبهبذيين أربعة وأفرد كلّ واحد بتدبير جزء من المملكة . ولكلّ أصبهبذ خليفة يدعى المرزبان[2] . وضبطاً لنواحي الدولة وتحقيقاً للعدالة التي جعلها أسمى هدف له ، كان يتحرّى عن أحوال رعيته تحرياً دقيقاً ، ويدقّق في أحوال الحكام ورجال الإدارة ، واعتمد في كثير من ذلك على عيون بثهم في أرجاء المملكة[3] ؛ ولأردشير في وجوب العدالة مذهب لا يحيد عنه ، يصوّره قوله : « يجب على الملك أن يكون فائض العدل فإن في العدل جماع الخير ، وهو الحصن الحصين من زوال الملك وتخرمه ، وإن أوّل مخايل الإدبار في الملك ذهاب العدل منه[4] » . وليس لنا أن نظنّ أن أفعاله كانت نائية عن أقواله ،

١ الشاهنامة ٢ : ٥٤ .
٢ مروج الذهب ١ : ٢٤٥ – ٢٤٦ .
٣ التاج في أخلاق الملوك : ١٦٧ – ١٦٨ والشاهنامة (الترجمة العربية) ٢ : ٥٦ .
٤ انظر : أقوال متفرقة رقم : ١١ .

في هذا المجال ، فقد ضُرب به المثل في حسن السيرة ، وكانت سيرته مثالاً يحتذيه من جاء بعده من الملوك[1] ، وهذا لا ينفي ما كان يتمتّع به من حكم مطلق ، وما كان يؤمن به من حقّ إلهي في الملك .

واعتبر أردشير الرعيّة أربع طبقات هي : ا) الأساورة ، ب) والنساك وسدنة بيوت النيران ، ج) والأطباء والكتّاب والمنجمون ، د) والزراع والمهان وأضرابهم ، وهي الطبقات التي ذكرها في عهده ، وعبّر عن مدى تخوّفه من انتقال أحد الناس فيها من طبقة إلى أخرى ، بقوله : « ولا يكون لانتقاله عن الملك بأجزع منه لانتقال صنف من هذه الأصناف إلى غير رتبته لأن تنقل الناس في مراتبهم سريع في تنقل الملك عن ملكه إمّا إلى خلع وإمّا إلى قتل »[2] وهذه الروح في المحافظة على الطبقيّة توضح وجهة نظر خطيرة في الفكرة السياسيّة لدى أردشير .

كذلك فإنّه استعمل هذه النظرة الطبقيّة في ترتيب ندمائه ، فجعلهم في ثلاث طبقات ، في الأولى الأساورة وأبناء الملوك ، وفي الثانية أهل الشرف والعلم ، وفي الثالثة المضحكون وأهل الهزل والبطالة ، وجعل بينه وبين الندماء ستارة ورتب وكيلاً يقوم بأمرها وأمْرِ مجلس المنادمة يُختار من أبناء الأساورة ويلقب « خرّم باش » . وله في النديم آراء توضحها أقواله ، فمن ذلك : « ليس أحد ممّن يصحب الملوك ويخالطهم أولى باستجماع محاسن الأخلاق وفضائل الآداب

١ ثمار القلوب : ١٧٨ . وترجم أبان اللاحقي سيرته (الفهرست : ١١٩) .
٢ العهد ، الفقرة : ١٣ .

وظرائف الملح وغرائب النتف من النديم ، حتّى إنّه ليحتاج أن يكون له مع شرف الملوك تواضع العبيد ، ومع عفاف النساك مجون الفتاك ، ومع وقار الشيوخ مزاح الأحداث . . . ولا يكون نديماً حتّى يكون له جمال ومروءة . . . إلخ »[1] .

وابتدع أردشير أموراً في شؤون الآيين ورسوم الحياة الملكيّة ، فكان إذا وضع التاج على رأسه لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب ريحان متشبّهاً به ، وكان إذا ركب في لبسة لم يُرَ على أحد مثلها ، وإذا تختّم بخاتم فحرام على أهل المملكة أن يتختموا بمثله ، ووكل غلامين ذكيين يكتبان ما يتفوّه به في مجلس الشراب ليراجعه في اليوم التالي . وكانت العلامة التي اتخذها لينصرف السمار هي التمطي ، فإذا فعل ذلك قاموا من مجلسه . وكان لا يمس طيباً ما دام يجد عبق الطيب في ثيابه[2] .

أمّا الحياة اليوميّة فقد سنّ فيها سنّة لعلّه كان يأخذ بها نفسه ويصوّرها قول مؤلّف الغرّة[3] : « وفي كتبهم أن أردشير الملك قسم النهار أربعة أقسام : قسم يناجي المرء ربّه في عبادته ورعايته إيّاه في صلاته وذكره ، وذلك حين يطلع الفجر إلى أن تطلع الشمس ؛ وقسم يركب فيه إلى باب الملوك ويقوم بتأدية حقوق الإخوان وطلب الحوائج وعلاج الأمور ، وذلك من طلوع الشمس

١ أقوال متفرقة رقم : ١٢ .
٢ التاج : ٤٧ ، ٢٧ ، ١١٨ ، ١٥٥ ، والمروج ١ : ٢٤٦ .
٣ الغرة ، ص ٣٧ — ٣٨ .

إلى أن يدرك المقيل فتصير إلى منزلك[1] في حرّ الهاجرة ؛ وقسم للنظر في وجوه الأهل وفي الملاطفة لهم وإكراه نفسك على ما أصلحهم وأفرحهم من لين المنطق وبذلته ومهلته ، إلى أن يزول النهار ؛ وقسم للمرء نفسه إمّا لاهياً بأمر وإمّا متفرّغاً غير لاهٍ ولا محزون ، يخصّ نفسه من أهله ما جذبهم إليه فإن تجاوز أهله فيأتون الإخوان[2] له غير حامل على نفسه فكر الهموم ولا تارك مع ذلك حسن الفكرة فإن مثله ذلك في ذلك شخوص فإلى أحبّ الوجوه إليه النشاط[3] سرور من مطعم أو مشرب أو لقاء صديق حبيب أو زيارة ملك مكرم ، ذلك إلى أن يذهب النهار ويدخل الليل ، فأهله أولى بليلته ، وفي كلّ هذه الأقسام حقّ واجب من حقّ الدين وتأدية فرائض الله وسنّته الواجبة » .

وينسب المسعودي إلى أردشير أمر تغيير التأريخ المتبع عند الفرس ، إذ كان المعتقد عندهم أن زوال ملكهم يكون على رأس ألف سنة من ظهور زرادشت ، فلمّا جاء أردشير حسب المدّة الباقية فوجدها نحواً من مائتي سنة ، فخشي أن يشتدّ اليأس بالناس لقرب الأجل ، فقيد تاريخ ملوك الطوائف وأوهم الناس أنّه لم يستمر سوى ٢٦٠ عاماً بعد الإسكندر ، وبذلك أطال المدّة الباقية إلى انقضاء الألف من الأعوام[4] ، وإلى هذه الحقيقة أشار أردشير

١ كذا تغير الضمير إلى الخطاب .
٢ كذا بإيراد فاعلين لفعل واحد .
٣ هذه الجملة شديدة الاضطراب .
٤ التنبيه والإشراف : ٩٨ .

في الفقرة الأخيرة من عهده بقوله : « ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس ألف سنة . . . » .

وإذا ذكرنا كلّ هذا الذي قام به أردشير فيجب أن لا ننسى شخصاً كان له أثر كبير في تقديم المساعدة الفكرية والعمليّة له ، ذلك هو « تنسر » الزاهد الذي آزر أردشير وبثّ له الدعاة في البلاد وأعانه على توطيد الملك ، وكتب رسائل بثّها في الناس يدافع فيها عن أردشير ويعتذر عمّا أجراه من بعض التغييرات والبدع في الدين والملك[1] . ولا ريب في أن أردشير كان يملك من الخلال الشخصيّة ما مكّنه من إحراز النجاح ، فقد عُرف بالشجاعة الفائقة والقوّة الجسديّة والحزم والشدّة على الظّلَمة وكثرة الاستشارة وطول التفكر والرسوخ في الحكمة[2] ، ولولا هذه الخصال لما استطاع « تنسر » أن يكسب القلوب ويستميلها إلى صاحبه أردشير .

وفي آخر أيّامه تزهد مؤثراً التجرّد من الملك واللحاق ببيوت النيران والانقطاع إلى العبادة ، تاركاً الدولة لابنه سابور ، ذلك ما يقوله المسعودي في المروج[3] ؛ ولا يذكر الطبري أمر هذا التزهّد بل يقول إن أردشير عقد لابنه التاج من بعده ، وإنّه « بعد أن هلك » أردشير ابن بابك قام بملك فارس من بعده ابنه سابور[4] ؛ وسواء أصحّ أمر

١ التنبيه والإشراف : ١٠٠ .
٢ تجارب الأمم ١ : ٩٨ وغرر السير : ٤٨١ .
٣ المروج ١ : ٢٤٧ .
٤ تاريخ الطبري ٢ : ٤٦ ، ٤٤ .

التزهّد أم لم يصحّ فمن الثابت أن أردشير أشرك ابنه في الحكم في أيّامه الأخيرة وضرب صورة ذلك الابن على سكّته[1] ؛ وكتب له وصيّته المعروفة بـ « عهد أردشير » وملأها بالنصائح السياسيّة ليفيد منها ابنه ومن يليه من الملوك ، والظاهر أنّها في ما تحتويه لا تستدعي الشكّ في نسبتها إلى أردشير ، فما فيها من آراء يوافق ما احتفظت به المصادر عن شخصيته ، كذلك قرّر المؤرّخون أن أردشير كان يطيل الكلام في مكاتباته ومخاطباته لقدرته البلاغيّة ، ولم تكن إطالته تخلو من طائل[2] ، وفي هذا ما يفسر تشقيق القول في هذا العهد ، موضع النظر .

وقد بقيت من أقوال أردشير وكتاباته نتف متناثرة في المصادر العربيّة ، جمعتها معاً من مظانّها ، لأسهل على القارىء الرجوع إليها ، ومقارنتها بآرائه في عهده ؛ كما بقي الكتاب المسمّى « كرنامج » (كرنامك) أي كتاب أعمال أردشير ، وقد ذكره المسعودي في المروج[3] ، ولا أعرف إن كانت له ترجمة عربيّة مستقلّة موجودة حتّى اليوم ، ولكنه مصدر كثير من الأخبار الّتي وردت في المصادر العربيّة ، ويقدّر المرحوم الدكتور عبد الوهّاب عزام أنّه قد يكون كُتب في القرن السابع الميلادي ، وقد حافظ الفردوسي في الشاهنامة على كثير من التفصيلات الواردة

١ Rawlinson, 64
٢ غرر السير : ٤٨١ .
٣ المروج ١ : ٢٤٨ .

فيه ، كما أن الأستاذ نولدكه قد ترجمه عن البهلوية إلى الألمانيّة[1]؛ أمّا ما يخصّ أردشير في الشاهنامة نفسها فقد جاء في ٦٦٠ بيتاً ، ولكن البنداري مترجمها حذف بعض الفصول في الترجمة العربيّة[2] .

١ انظر E. Browne, Literary History of Persia, vol I p.p. 137—150

٢ الشاهنامة ٢ : ٥١ (التعليق) .

نظرة في عهد أردشير

قال علماء الفرس ونقلة أخبارها ، فيما أورده صاحب الغرة[1] :
« كان أردشير قد بلغت عنايته بأمر المملكة وسير العوام أن التمس لها البقاء بعده ، فشارك في العيش مَن بعده [من] الملوك وسعى لهم في مملكتهم كسعيه لنفسه في ملكه ، وابتغى الإثخان لهم في الأرض كما أثخن لنفسه ، والتمس أن لا يتبع صفوَ ما يخلّف كدرٌ ، ورأى أن حياته لا تفارق ملكه ما دام مستقيماً ، وإن استعجل الموت بيديه[2] ، وكان فرحه بجميل الذكر الذي يتبعه كفرحه بطيب العيش الذي يصل إليه في حياته ، فلمّا ظنّ أن قد شدّ الأواخي وأثخن العرى ووثّق الأركان ووزن المملكة بميزان الاستقامة رأى أن ذلك غير بالغه[3] كنه ما يريد دون أن يعهد إلى

١ الغرة : ٣٩ — ٤٠ ويبدو أن ما ينقله صاحب الغرة يعد من المقدمات القديمة ، ولكنا لا ندري من أين ينقل هذا التعليق .

٢ كذا ، والعبارة توحي « بالانتحار » .

٣ الصواب أن يقول : « مبلغه » أو « بالغ به » .

الملوك من بعده عهداً يكون إماماً لهم وراداً عليهم إذا جبنت القضاة عن القضاء عليهم ، ومؤنباً لهم بالانتباه عند تحسين وزراء السوء ذلك وإعلاماً لهم أنّها في الأبواب التي منها يؤتون وتؤتى مملكتهم ويصلحون وتصلح كلمتهم » .

« كان الملك منهم إذا خلف عهداً يعهده الملوك من بعده كان واجباً على من يخلفه من الملوك أن يدمنوا قراءته ويكثروا تدبره ، وألاّ تُحدثَ لهم قوّة السلطان وحميته أنفة منه ولا زهادة فيه ؛ وكان حفظ آخرهم عهد أوّلهم رأس الأمور التي أصلحوا ، وكان تضييع ذلك رأس الأمور التي بها هلكوا ؛ إلاّ أنّه إذا كان خلالَ الملوك النبلاء ملك خسيس وصلت إليه الولاية إمّا بخاصة مودة كانت له من أبيه فجعل له العهد بها ، وإمّا بممحوض من الكرم والتردّد في الملوك ، فإن أمور ذلك الخسيس يجتنب أحسنها ويستدرك قبيحها ويجعل ذلك الاستدراك قضى عنه ديناً إن لم يعجله عزل الأجل لم يغنه قضاؤه[1] ، ولكنه خلف دينه على أوليائه فقضي عنه » .

ويوضّح هذا النص الدافع الذي حدا بأردشير إلى إنشاء عهد لمن بعده من الملوك ، وأن ذلك الدافع يرتكز إلى غاية ذاتية هي حبّ الخلود وطيب الذكر وما يبعثه ذلك من راحة نفسيّة لديه وإلى غاية عامة هي وضع « إمام » بين أيدي خلفائه يردعهم عن التمادي في الجور والانقياد إلى وزراء السوء ، ويقوم لهم مقام القاضي

١ في العبارة اختلال .

العادل والوازع القويم إذا ضعف الوزعة والقضاة عن تنبيههم إلى المزالق .

وتقضي السُّنَّة بعد ذلك أن يصبح أي عهد يخلفه ملك من الملوك موضوعاً للقراءة والتدبر ، وهذا يحفظ على الدولة موروثها الذي هو مصدر قوّتها ، فلا يتولى الملك عهد ملك سابق بنبذ أو استخفاف ، ففي حفظ العهد صلاح أمور المملكة وفي تضييعه هلاكها .

وإذا كان العهد وصية جامعة لمؤسّس دولة ، جمع فيها تجاربه التي عانى طويلاً في اكتسابها ، ونخل فيها هذه التجارب ثمّ نسقها معاً ، وكان هذا المؤسّس الكبير جامعاً لخلال الذكاء وبُعد النظر والعدالة ، مثلما كان أردشير ، فمن الطبيعي أن يصبح العهد الذي يكتبه دستوراً لمن جاء بعده ، ويضفي الزمن على هذا الدستور صبغة من الرفعة والجلالة ، فيصبح معتمداً سياسيّاً أو « إماماً » كما قال علماء الفرس ونقلة أخبارهم . وممّا يشهد لقيمة عهد أردشير في سياسة الفرس أن ظلّوا يحتفظون به على مدى الزمن ، ثمّ أن تكون هذه القيمة نفسها سبباً في المبادرة إلى ترجمته إلى العربيّة وجعله مادة في ثقافة رجال الحكم ورجال السياسة وبخاصة طبقة الكتّاب في الدولة العبّاسيّة ؛ ولو فرضنا أن هذا العهد لم يكن من إنشاء أردشير وأنّه إنّما نُسب إليه على طريق الانتحال لظلّت قيمة الآراء الواردة فيه تجعل منه وثيقة سياسيّة هامّة ، تلخّص جوانب كبيرة في الفكر السياسي الفارسي ، ثمّ يصبح بعد ترجمته ذا أثر في

الفكر السياسي الإسلامي بعد قيام الدولة العباسيّة . أمّا إلى أي مدّى عملي كان أثره في حكم ملوك الفرس فأمر يحتاج إلى استقصاء دقيق في دراسة أحوال الدولة بعد أردشير ومقدار التزام الحكّام بالمبادىء التي وردت فيه .

بعد أن تحدّث أردشير عن تجربته وكيف أن الأحداث قد تتكرّر وتجيء متشابهة : « وأن الأمور بعدي واردة عليكم بمثل الذي وردت به عليّ ، فيأتيكم السرور والأذى في الملك من حيث أتياني »[1] — بعد ذلك تجده ، على وجه الجملة ، قد تناول بحديثه مشكلات كبرى من مشكلات سياسة الحكم وإن لم يلتزم بحثها على نسق متسلسل .

فأوّل ما حذّر منه الملك ، البطانة الفاسدة التي عملها من أجل مصلحتها الذاتيّة ، فكلّ واحد منها إنّما « نصيحته للملوك فضل نصيحته لنفسه وغاية الصلاح عنده صلاح نفسه وغاية الفساد عنده فسادها »[2] وهذه الطبقة ذات الأنانيّة والأثرة من أخطر شيء على الملك ، كلّ امرىء منها « يقيم للسلطان سوق المودة ما أقام له سوق الأرباح » والحذر في هذا المجال ألزم أنواع الحذر لقرب البطانة من الملوك .

ثمّ كان الحديث عن العلاقة بين الملك والدين من أهمّ القضايا

١ الفقرة (ف) : ٢ .
٢ ف : ٣ .

التي تناولها في عهده . فقد قرّر أنّهما أخوان توأمان متساندان متعاونان ولكنّه كان على وعي دقيق بأن النافذة التي يطلّ منها وجه الثورة على الملك هي النافذة الدينيّة « وإن رأس ما أخافه عليكم مبادرة السفلة إياكم إلى دراسة الدين . . . فتحدث رياسات مستسرات »[1] . وإن الداعي الديني هو أقوى خصوم الملك وهو قادر على انتزاع السلطة من يديه ، لأن مثل هذا الداعي يجد أنصاراً كثيرين يتبعونه ويصدقونه ، وهنا يفيء أردشير إلى حيلة كان يتخذها الملوك السابقون وذلك أنّهم كانوا يعمدون إلى عقول الثائرين باسم الدين فيخربونها إذ يطلقون عليهم اسم « المبتدعين » أي أن الملوك يستعملون الدين سلاحاً ضد الداعي الديني نفسه ، فيكون الدين هو الذي يقتله ويريح الملك منه ؛ ويجب أن يُظهر الملك حرصه على الدين بحيث لا يفوقه في هذا الحرص زاهد أو ناسك ، ومن العيب على الملك أن يفتح المجال للنساك والزهّاد كي يقوموا بشؤون الأمر والنهي ، وهكذا نجد أن أردشير الذي منح رجال الدين في دولته سلطات كثيرة ، ربطهم بالدولة فلم يعد يخشى ثائرتهم ، ولكنه كان يخاف « العاقل المحروم » الذي قد يتزيا بالزهد ويتوسّل إلى قلوب الرعيّة عن طريق الدين .

فإذا سلمت الدولة من طامح يريد فيها تغييراً باسم الدين ، ظلّت عرضة لعيبين : خطر خارجي وخطر داخلي ، أمّا الخطر

١ ف : ٤ .

الخارجي فهو غلبة الأمم على تلك الدولة وقد أهمل أردشير في عهده الحديث عن هذا الجانب ، وأمّا الخطر الداخلي فهو انحطاط المستوى الأخلاقي لدى أولي الأمر ولدى الرعيّة . وهذا هو المجال الذي يجب أن يبدأ فيه الإصلاح ، إذ لا يمكن للرعية أن تتوجه إلى حرب الأعداء الخارجيين بقلوب مختلفة وأيدٍ متعادية ، خصوصاً وأن في الطبيعة الإنسانيّة كرهاً متأصّلاً للحرب .

وأكبر عامل يخلق الفساد في صفوف الرعيّة هو الفراغ « أي تركها بغير أشغال معروفة ولا أعمال معلومة »[١] ، فهذا الفراغ يشجّع الناس على النقد للدولة والتفكّر فيها والكشف عن خفي عيوبها ، وهو المنفذ الذي يدخل منه خطر الدين أيضاً ؛ والناس – لعدّة أسباب – يستثقلون الولاة ، فإذا كانوا فارغين سرت بينهم سارية من القالة والتحريض وكثر عدد الناقمين فأصبح الملك عاجزاً عن مناوأتهم « فإن إقدام الملك على جميع الرعيّة تغرير بنفسه وملكه » وعندئذٍ تضيع الثغور وتُنتهك حرمة الحدود ويتضافر الخطران : الداخلي والخارجي على الإطاحة بالملك وعلى تحطيم الدولة . ويكاد أردشير يجعل من الفراغ العامل الوحيد الذي عنه تنشأ جميع العيوب ، فهو لدى أهل الدين والكتّاب والحسّاب يسمّى « فراغ قلب ولسان » وهو لدى الأساورة « فراغ يد » وهو لدى المهّان والتجّار « فراغ بدن »[٢] . فالفراغ داء ضار بالملك

١ ف : ١٢ .
٢ ف : ٣٤ .

والرعيّة على حد سواء « اعلموا أن الملك ورعيته جميعاً يحقّ عليهم ألاّ يكون للفراغ عندهم موضع ، فإن التضييع في فراغ الملك ، وفساد المملكة في فراغ الرعيّة »[١] .

ولهذا كانت إزالة « الفراغ » أهم سياسة تضمن عدم التفات الرعية إلى التدخل في شؤون السياسة ، وتكون ضماناً ضد الفساد الأدبي في صفوف الناس ؛ وهنا يضطلع أردشير بتقديم ملاحظاته وآرائه في المجتمع وفي ضروب الرعيّة ؛ فيرى أن توجيه الناس إلى العمل يجب ألاّ يمسّ الوجود الطبقي الذي بني عليه كيانهم ، وإنّما يشجّع كلّ منهم على التفوّق داخل طبقته ، أمّا الانتقال من طبقة إلى أخرى فإنّه يهزّ قواعد المجتمع . والطبقات الاجتماعيّة أربع : طبقة رجال الدين وطبقة رجال الحرب وطبقة العلماء وأهل الرأي وطبقة أهل الخدمة ، فالانتقال من واحدة إلى أخرى صنو للفراغ الذي حذّر منه ، « فلا يكون (أي الملك) لشيء من الأشياء بأوحش منه من رأس صار ذنباً وذنب صار رأساً أو يد مشغولة أحدثت فراغاً »[٢] . فالملك الذي يجد حال الرعية قد استسلمت للفراغ واختلال المراتب الاجتماعيّة ويرى من نفسه القدرة على إصلاح الحال ، عليه أن يقوم بذلك وإن كانت طريقه إليه العسف ، فإن عسف بعض الرعيّة صلاح لبقيتها ، وأمّا الملك الذي يجد نفسه غير قادر على ذلك فلينتزع عنه الملك نزع المرء لقميصه القذر . ومن

١ الفقرة نفسها .
٢ ف : ١٣ .

نظر إلى هذه الطبقات التي عدّها أردشير وجد الثلاث الأولى في مستوى متقارب ، فهي جميعاً تمثل طبقة عليا في الدولة ، واختيار النقلة بينها أمرٌ لا يحدث كثيراً ، لأن كلّ واحدة منها تمثل « خطة حياة » تضمن لصاحبها منزلة رفيعة ، أمّا طبقة أهل الخدمة فهي التي يطمح أبناؤها إلى أن يصبحوا علماء أو رجال حرب أو رجال دين ليغيروا الوضع الاجتماعي الذي نشأوا عليه ، فحرمانهم من ذلك هو قضاء مبرم على كلّ نوعٍ من الطموح في أبناء تلك الطبقة ؛ وذلك يصوّر كيف يضحي أردشير بمبدإ « الفرص المتكافئة » الذي إن كان جديداً بالاسم فإنّه غير جديد من الناحية العملية في حياة الإنسانيّة .

ويذهب أردشير بعد ذلك إلى تعداد أصناف الرعيّة لا من حيث طبقاتها بل من حيث موقفها من الوالي فيعد فيها الأنواع التالية — وكلّها مصدر خطر على الملك — :

١) فريق يتلذّذون بإساءة الوالي لغرامهم بالأخبار المستطرفة — واستطراف الأخبار من أخلاق حشو العامة — فهم يفسدون النوايا بالشائعات ، وهذا داء سببه الفراغ ولا دواء له إلاّ بالأشغال .

٢) فريق يجفو الوالي ويقيم بينه وبينه حجاباً ومثل هذا غير ناصح الجيب ويسمّى « غاشّاً » للوالي وللعامة معاً ، فإذا عرف عنه ذلك سقط في أنظار العامة ، الذين بهم يستقوي .

٣) فريق لا يتصل بالملك مباشرة وإنّما يتخذ طريقه إلى الوزراء ،

وهذا غاشٌ أيضاً لأنّ من اتصل بالوزير فقد آثر الوزير على الملك .

٤) فريق مترفّع يريد نيل الجاه عن طريق الشهرة بالإباء ، وهذا قد يؤثره الملك بالتقديم أحياناً لتلك الخلّة فيه ، وهو من طبقة الغشاشين أيضاً .

٥) فريق يستعمل التواضع زينة يخدع بها البسطاء ، وهو يضمر كبراً ، ويتأتى للملك عن طريق الموعظة ، وهؤلاء من أخطر الناس على الملك ، لأنّهم اتخذوا الدين ذريعة إلى تحقيق مآربهم ، فإكرامهم لا يعدو أن يكون تحصيل حاصل لأنّهم أكرموا أنفسهم بما منحوه لها من درجة وحق ، وإسكاتهم خطر لأنّه يوحي باستثقال الدين ، وخير طريقة للتخلّص منهم إغداق الدنيا وخيراتها عليهم ، فذلك إفساد للمبدإ الذي يتظاهرون به « فإذا تلوّثوا بها بدت فضائحهم » — وهنا يومىء أردشير إلى مبدإ القتل وأنّه وسيلة ناجحة للقضاء عليهم بعد انكشاف فضائحهم .

٦) فريق يدسّون عند الملوك ويسعون بالوشايات ويسمّونها نصائح ، وهؤلاء أعداء الملوك وأعداء الناس معاً .

ويتطرّق أردشير أيضاً إلى مشكلة تتعلّق بولاية العهد ، ويرى أن إعلان اسم وليّ العهد في حياة الملك داعٍ إلى التعادي ، فوليّ العهد يظلّ يتمنّى زوال صاحبه الذي عهد له بالملك استعجالاً ، فتدخل كلّ واحد منهما وحشة على صاحبه وينقسم الناس فريقين ، فريق يتعصّب للملك وفريق يتعصّب لوليّ العهد ، فإذا ارتقى وليّ

العهد العرش نكّل بالذين كانوا يتعصّبون لسلفه ، ورفع بعضاً من الرعيّة ووضع بعضاً منها ، فكان في ذلك ضغن وسخط منها ، كذلك فإن وليّ العهد ينعم بسكر السلطة قبل أن يحوز السلطة نفسها فيصبح ذا سكرين ، سكر ولاية العهد وسكر الملك . وهنا يقدّم أردشير نصيحة طريقة لم يكن هو نفسه قد عمل بها — فيما يبدو — حين عهد إلى ابنه سابور ؛ فهو يرى أن ينتخب الملك — بعد النظر والتأمل — وليّاً لعهده ويكتب اسمه في أربع صحائف ويختمها بختمه ، ويودعها عند أربعة أشخاص من خيار أهل المملكة ، ولا يوحي أي تصرّف منه بالشخص الذي وقع عليه اختياره ، بل ليتّقِ ذلك في النظرة والكلمة ، وعندما يموت الملك تجمع الكتب وتفضّ جميعاً ويُقرأ فيها اسم المعهود إليه ؛ ويجب أن نلحظ هنا أن أردشير لم يشر بشيء إلى الشورى وإنّما جعل الأمر كلّه منوطاً بالملك ولم يحترز في انتخاب وليّ العهد إلاّ بقوله : « ولكن لينظر الوالي منكم لله ولرعيته ثمّ لنفسه »[١] ثمّ حدّد ذلك تحديداً أدقّ خوفاً من شرّه أقرباء الملك إلى نيل ملكه بقوله : « اجعلوا الملك لا ينبغي إلاّ لأبناء الملوك من بنات عمومتهم ثمّ لا يصلح من أولاد بنات الأعمام سخيف العقل ولا ناقص الجوارح ، فإنّكم إذا فعلتم ذلك قلّ طلاب الملك ، وإذا قلّ طلابه استراح كلّ امرىء واقتصر على ما يليه »[٢] ؛ وهذا بالرأي النظري أشبه إذ أن أحداث

١ ف : ١٧ .
٢ ف : ٣٣ .

التاريخ قد أكّدت قيام الخلاف بين الأبناء أنفسهم وإن كانوا لغير علاّت ، كما أكّدت استشراف الأقرباء إلى انتزاع الملك وهم يعلمون أن نظام ولاية العهد يقصيهم عنه ولا يجعل لهم حقّاً فيه .

ويُستشفّ من دراسة عهد أردشير أن سياسة الحذر هي قاعدة الحكم عنده ، فهو يحذر الملك في فاتحة العهد من الاستسلام إلى سكر السلطان ويورد عليه قول الأوّلين : « عند حسن الظن بالأيّام تحدث الغير »[١] ويوصي الملك بأن يظلّ حذراً من بطانته ، سيء الظن بدعاة الدين وبالرعيّة على وجه الإجمال ، « وأن يكون حذره للملاّقين أشدّ من حذره للمباعدين ، وأن يتقي بطانة السوء أشدّ من اتقائه عامة السوء »[٢] ، ويلخّص كلّ هذه الفلسفة السياسية بقوله : « اعلموا أن [صحة الظنون] مفاتيح اليقين »[٣] . فإذا كان الحذر المتوجس هو محور هذه السياسة لم نستغرب أن تكون صورة الملك في ذهن أردشير أقرب إلى تثبيت قواعد ملكه بالعسف والقتل حين يحتاج إليهما ، لأن الغاية الّتي يسعى إليها هي « صحة المُلك »[٤] . وهو لذلك يستبيح تخريب عقول من يحذرهم الملك، ويسمي الغلظة عند الحاجة إليها باباً من أبواب الرفق بالرعيّة، فالوالي « قد يغلظ على الرعية من شدّة رأفته بها ، وقد يقتل فيها من

١ ف : ١ .
٢ ف : ٢٢ .
٣ ف : ٢٦ .
٤ ف : ٥ .

حرصه على حياتها »[1] وهو سيء الظن بالعامة : « فإن شأن العامة الإجماع على استثقال الولاة والنفاسة عليهم لأن في الرعيّة المحروم والمضروب والمقام فيه وفي حميمه الحدود ... فكلّ هؤلاء يجري إلى متابعة أعداء الملك »[2] . فإذا تأمّلنا هذه الحال وتذكرنا أن أردشير لم يجر في عهده ذكراً لكلمة « العدل » أو ما يرادفها ، عرفنا أن « صحة الملك » وهي الغاية الكبرى لديه قد أغفلته عن الالتفات إلى هذه الناحية الهامة في سياسة الدول ، فأين صورة أردشير العادل في هذا العهد ؟ نحن نعلم من أخبار أردشير أنّه شهر بالعدالة ، ولكنّا نعلم أيضاً أنّه كان شديد العقاب على الذنوب ، وهذه الميزة الثانية هي التي برزت في عهده ، وكأنّه كان يرى أن ما يسمّونه « الحزم » أبلغ تأثيراً في تثبيت الملك ، وأن وضع الأمور في مواضعها ، على هذا النحو ، هو الذي يحقّق العدالة ، وإن لم يتحدّث عنها حديثاً صريحاً .

في كلّ ما تقدّم رأينا مشكلات كبرى يحاول أردشير وصفها واقتراح الحلول لها : منها علاقة الملك ببطانته وعلاقة ما بين الدين والملك وعلاقة الملك برعيته وعامل الفراغ وأثره في حياة الدولة ثمّ مشكلة ولاية العهد . ولكن أردشير لم يغفل عن وضع برنامج أخلاقي للملك نفسه إن شاء أن ينجح في حلّ تلك المشكلات .

١ ف : ١٠ .
٢ ف : ١٢ .

وأخطر الملوك حالاً من ورث ملكاً ممهداً لا عناء في ضبطه فيظنّ أنّه قد فرغ للسعي في الملاهي واللعب ، ومن هنا ينفتح باب البلاء ، ويدخل الوهن في الدولة[1] ، وإنّما على الملك أن يفتش عن عيوب نفسه فيحاول إصلاحها فليس له أن يكون بخيلاً أو كذاباً أو غضوباً أو فارغاً من العمل ، وليس له أن يخاف ؛ وعليه أن لا تختلف منه ساعات العمل والمباشرة وساعات الفراغ والدعة فإن اختلافها يورط في الخفة وليس للملك أن يخف ؛ والفرق بين الملك والسوقة ما لديه من قدرة تمكنه من اقتناء المحامد واستفادة المكارم[2] ؛ ومن الحفظ والتوقّي ألاّ يفشي سرّه عند الصغار من أهله وعند خدمه وإنّما يعرف أين يودع سرّه[3] ، كذلك من أهم خلاله تغليب الرأي على الهوى[4] ، وتقسيم الوقت الصالح للعمل أو للفراغ واللهو أو للمطعم والمشرب بحيث لا يؤجل عملاً عن وقته[5] . وفوق ذلك كلّه هناك أمرٌ بالغ الأهميّة وهو تقديسه لذكرى أسلافه وتجنبه الطعن عليهم فلا يقول : « لي الفضل على من قبلي من آبائي وعمومتي ومن ورثت عنهم هذا الأمر » لأن ذلك يغني تجرئة للآخرين على عيبهم واضطراره إلى الإغضاء عن ذلك[6] .

١ ف : ٢ — ١٥ .
٢ ف : ١٨ — ٢١ .
٣ ف : ٢٥ .
٤ ف : ٢٨ .
٥ ف : ٣١ .
٦ ف : ٣٢ .

وأخيراً يختم أردشير نصائحه بالدعوة إلى التمسّك بعهده ، فهو في رأيه رابطة تحفظ الملك أبداً لولا اليقين بالبوار النازل على رأس ألف سنة ؛ ولم يكن أردشير لينفي هذه النبوءة لأنّها منسوبة إلى زرادشت ، ولكنه إن حاول تخفيف وقعها عمليّاً — بتغيير التأريخ — فإنّه لم يحاول تلطيف أثرها المعنوي في النفوس ، وهي حقيقة مرعبة تجعل الجهد الجماعي في البناء قليل المغزى وتصرف الملك وغيره إلى انتهاب الفوائد الذاتيّة قبل حلول الأجل، وتزعزع ثقة الناس في جدوى العمل .

ومَن تدبر هذا العهد وجد فيه حصيلة تجربة دقيقة وآراء نافذة ، ولكنه في مجمله يعكس مفهوم الحاكم الذي يرى في نفسه قوّة متألّهة على الأرض ، فهو يبسط سلطانه بكلّ طريق ، وهو يلجأ إلى وسائل من الحيلة أو العنف أو التسويغ والإيهام ليثبت ملكه ، وكأنّه يؤمن بمبدإ « الغاية تبرّر الواسطة » ، وهو يحذف كلمة « العدل » من قاموسه السياسي ، مستغنياً عنها بالحزم ، جاعلاً العلاقة بين الحكّام والمحكومين قائمة على الحذر وسوء الظن ؛ مؤمناً بالفوارق الأبديّة بين الطبقات ، ولعلّ هذه الفكرة الأخيرة التي رسخت في نفوس حكام الفرس كانت ممهداً لدعوة مزدك من بعد ، حين قام يدعو إلى المساواة وشيوع التملّك في عهد قباذ أواخر القرن الخامس الميلادي .

الاهتمام بعهد أردشير في العصور الإسلامية

أعتقد أن عهد أردشير قد تُرجم إلى العربيّة في دور مبكر ، وأنّه ربّما تمّت ترجمته في أواخر العصر الأموي ، أي إبّان ذلك الدور الأوّل الذي التفت فيه التّراجمة إلى الثقافة الفارسيّة الحكميّة أو ما أشبهها — قبل الالتفات إلى الثقافة اليونانيّة الفلسفيّة — أي حين التفتوا بخاصة إلى ما كان يتصل برسوم الدولة وقواعد السياسة وتدبير الجيوش ، والشواهد على وجود هذه التّرجمة في تلك الفتّرة المبكرة من القرن الثاني هي :

(ا) ما ذكره المسعودي من أنّه رأى كتاباً عام ٣٠٣ بإصطخر يشتمل على علوم كثيرة من علوم الفرس وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم ممّا لم يوجد في كتب أخرى مثل خداي نامه وآيين نامه ، وأن تاريخ ترجمة ذلك الكتاب هو ١١٣ هـ في زمن هشام ابن عبد الملك وأنّه نُقل له من الفارسيّة إلى العربيّة[1] .

١ التنبيه والإشراف : ١٠٦ .

(ب) ما ذكره ابن النديم من ترجمات قام بها ابن المقفّع عن الفارسيّة مثل خداي نامه وآيين نامه وكليلة ودمنة وكتاب مزدك وكتاب التاج في سيرة أنوشروان ، وهي ترجمات لا يمكن أن تكون جميعاً ممّا تمّ في عهد الدولة العبّاسيّة ، ولا بدّ أن يكون التفات ابن المقفّع إليها في دور قبل ظهور تلك الدولة[1] .

(ج) ما حكي عن سالم مولى هشام بن عبد الملك وأنّه نقل رسائل أرسطاليس إلى الإسكندر ، ومن طالع هذه الرسائل وجدها تتمشّى في روحها أيضاً مع النقول التي تمّت من اللغة الفارسيّة[2] .

ويُستنتج من رواية أوردها المبرّد في كتاب الفاضل[3] أن عهد أردشير كان معروفاً في زمن المأمون (أي قبل ٢١٨ هـ) إذ جاء في هذه الرواية : «ويروى أن المأمون أمر معلّم الواثق بالله — وقد سأله عمّا يعلّمه إيّاه — أن يعلمه كتاب الله، جلّ اسمه، وأن يقرئه عهد أردشير ويحفظه كتاب كليلة ودمنة» ، ونحن نعلم أن الواثق ولد سنة ١٩٩ هـ وأنّه لا يستطيع أن يقرأ عهد أردشير قبل أن يبلغ العاشرة أو الثانية عشرة ، وبذلك يمكن تحديد تاريخ مقارب للزمن الذي كان فيه الواثق يقرأ عهد أردشير .

ونال العهد شهرة كبيرة بين طبقات الكتّاب ، إذ كان جزءاً أساسيّاً من المادة الثقافية التي يدرسونها ، وشاهدُ ذلك قول الجاحظ

١ الفهرست : ١١٨ (ط. فلوجل) .
٢ الفهرست : ١١٧ .
٣ الفاضل : ٤ .

في رسالته في ذم الكتاب : «وروى لبزرجمهر أمثاله ، ولأردشير عهده . . . ظنّ أنّه الفاروق الأكبر في التدبير»[1] كما نجد المبرّد (المتوفّى سنة ٢٨٦) ينقل في الكامل عبارة من عهد أردشير وهي : «وقد قال الأوّلون منّا : عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان» وهذه الجملة تدلّ على أن الترجمة التي اعتمدها المبرّد — أو من نقل المبرّد عنه — تختلف عن الترجمة التي وصلت إلينا ، إذ العبارة فيها : «وقد قال الأوّلون منّا : رشاد الوالي خير للرعيّة من خصب الزمان»[2] ؛ ومن عجيب الأمر أن يُغفل ابن قتيبة عهد أردشير ، وهو الذي نقل في عيون الأخبار كثيراً من حِكَمه وأقواله المشهورة ، بل إنّه حين نقل عبارة من عباراته مشبهة لما جاء في العهد[3] قال إنّه ينقلها من كتاب من كتب العجم ؛ ولعلّ شهرة العهد في أيدي الناس قد أغنته عن ذلك ، وهي الشهرة التي جعلت الطبري يشير إليه دون أن ينقل منه ، وجعلت المسعودي يقول بعد سنوات في مروج الذهب : «وله عهد في أيدي الناس»[4] .

غير أن مؤلّفاً مجهولاً لعلّه لم يتجاوز العقد الثاني من القرن الرابع أورد هذا العهد في صورته الكاملة ، ذلك هو مؤلّف كتاب «الغرّة» الذي وصلتنا قطعة منه مخطوطة ، ويعبّر مؤلّف الغرّة

١ رسائل الجاحظ ٢ : ١٩١ — ١٩٢ .
٢ انظر آخر الفقرة : ٣ من العهد ؛ ولاحظ كلمة «عدل» في رواية المبرد وهي غير واردة أبداً في نسخ العهد نفسه .
٣ انظر عيون الأخبار ١ : ١٣ .
٤ مروج الذهب ١ : ٢٤٧ .

عن قيمة هذا العهد بقوله : « وناهيك به جلالة وجزالة وجمعاً لمعاني الحزم والتدبير وحسن السياسة »[1] وفي الفترة نفسها نجد المسعودي يعرف هذا العهد معرفة وثيقة ، وهو وإن أشار إليه إشارة عابرة في المروج ، فإنّه عاد يقف عنده وقفة أطول في كتاب التنبيه والإشراف ، وينقل بعض عباراته ، فقد قال في ذلك الكتاب : « أكثر أردشير في عهده التحذير لمن بعده من الملوك من التهاون بما يكون من نوابغ العوام ونساكهم من التجمع والترّوس ، وأن ذلك إذا أُهمل فتفاقم آل إلى انتقال الملك وزوال الرسوم »[2] ، وهناك تقارب بين العبارات التي ينقلها المسعودي من العهد والعبارات كما وردت في كتاب الغرّة ، ومع ذلك فهناك فروق واضحة بين النصين ، كما يتبين لدى المقارنة بينهما :

نص الغرة

ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس ألف سنة
لظننت أني قد خلفت فيكم ما إن لم تؤثروا عليه
وتمسكتم به كان تمسككم به علامة بقائكم
ما بقي الدهر ، ولكن الفناء إذا جاءت
أيامه أطعتم أهواءكم واستعملتم آراءكم
وتنقلتم عن مراتبكم وعصيتم خياركم
وأطعتم شراركم

١ الغرة : ٣٨ .
٢ التنبيه والإشراف : ٨٧ .

نص التنبيه والإشراف[1]

ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس الألف سنة
لظننت أني قد خلفت فيكم من عهدي ما إن
تمسكتم به كان علامة لبقائكم ،
ما بقي الليل والنهار ، ولكن الفناء إذا جاءت أيامه
أطعتم أهواءكم واطّرحتم آراءكم
وملكتم شراركم ، وأذللتم خياركم

فإذا بلغنا عهد ابن النديم صاحب الفهرست (٣٧٧) وجدنا إشارة مقتضبة إلى العهد ، دون ذكر لمن قام بترجمته[2] .

وفي القرن الرابع نجد ثلاثة من المؤلفين يتوفرون على الاهتمام بعهد أردشير ، وأقلّهم احتفالاً به هو الثعالبي الذي أورد غرراً من كلام صاحب العهد واقتبس من عهده بعض العبارات مثل : « عدل السلطان أنفع من خصب الزمان » و « القتل أنفى للقتل » . أمّا المؤلّفان الآخران اللذان أدركا مطلع القرن الخامس فهما مسكويه وأبو سعد الآبي ، وكلاهما أورد نص العهد كاملاً ، فأدرجه مسكويه في كتاب « تجارب الأمم » وضمّنه الآبي كتابه « نثر الدُّرر » .

١ المصدر نفسه : ٩٨ .
٢ الفهرست : ١٢٦ أنه من الكتب المجمع على جودتها ؛ وذكر (ص : ١١٣) أن البلاذري ترجم شعراً .

وقد كان الفردوسي نظم عهد أردشير في ١١٦ بيتاً من أبيات الشاهنامه ، ولكن البنداري حذفه من التّرجمة العربيّة ، ومهما تكن دقّة الفردوسي في نقله للأصل ، فلا بدّ أن التّركيب الشعري اضطرّه إلى مبارحة الدقة الحرفيّة الّتي تستطيع التّرجمة النثرية أن تحافظ عليها[1] ، ولذا يظلّ النصّ الذي نقدمه اليوم أقرب الصور إلى الأصل وأكثرها دقّة ، مع استثناء بعض التحويرات الّتي تضع عهد أردشير في جوّ إسلامي مثل البسملة في البداية[2] وذكر يوم القيامة في النهاية ، وهي قليلة في التّرجمة المعتمدة .

١ هذا يمكن أن يقال في التّرجمة الشعرية الّتي صنعها البلاذري .

٢ هذا التحوير لم يرد إلا في نص الغرة ، وهذا لا يسيء إلى قدمها ، وإنما هو صدى لشخصية ناقل العهد الذي كان فيما يبدو قاضياً ؛ انظر الفقرة التالية من المقدمة .

تحقيق عهد أردشير

نظراً لأهميّة هذا العهد في تاريخ الفكر السياسي رأيت أن أقدّمه للقارىء في صورة محققة ، على قدر الطاقة ، وقد اعتمدت في تحقيقه على أصول ثلاثة وهي :

(أ) نصّ العهد كما ورد في كتاب« الغرّة » . وقد أشرت من قبل إلى هذا الكتاب (انظر الفقرة : ٣ من المقدمة) ؛ وهو حسب تقديرنا لتاريخه يمثل أقدم صورة وصلتنا من عهد أردشير . والقسم الباقي من الكتاب نسخة يملكها الصديق الأستاذ خير الدين الزركلي ويقع في ٢٩٠ صفحة ، في كلّ صفحة ١٤ سطراً ، وقد تمّ نسخه عام ٥٨٤ هـ . وأوراقه مضطربة التّرتيب ؛ ولكن إعادة ترتيبها أمر ممكن : فبداية القسم الباقي منه تقع في صفحة ١٦٣ حيث بعض الأخبار الّتي تنتمي إلى جزء سابق يتلوها من ١٦٣ — ٢٨٤ فصل في الشعر وطبقات الشعراء ينقص من آخره الطبقة العاشرة من الإسلاميّين ، ثمّ يتلوه ملخّص في النحو من صفحة ١ — ١٢ وهو ناقص من أوّله ، وبعده صنف العروض من ١٢ — ٣٥ ؛

ثمّ يقول المؤلّف بعد انقضاء صنف العروض: « انتهينا الآن بعد ما قدمنا من أصناف العلوم إلى أصناف أُخر خُصّص بها أصناف من أهل الأقاليم ، فأمّا ما ذكرنا في الجزء الأوّل من هذا الكتاب من أصول علم الديانة وفنون علوم العرب على مشاركتهم من سائر الأمم في تلك العلوم فإن الهند . . . » ويستمرّ هذا الفصل الذي يتحدّث فيه المؤلّف عن أهمّ ما انفرد به الفرس ثمّ الروم ثمّ الهند ثمّ الصين حتى صفحة ١٦٢ وبعدها يختم الكتاب بفهرست (٢٨٥ — ٢٩٠) لأهمّ المؤلفات التي تعين القارىء على الاستقصاء لجوانب المعلومات الواردة في الكتاب : لأن المؤلّف بنى كتابه على اختيار العيون وعلى الإيجاز « على ما عقدنا عليه كتابنا في الإيجاز والاقتصار على ذكر العيون والنكت »[1] . وفي القسم الخاص بما تميّز به الفرس ورد عهد أردشير (صفحة ٤٠ — ٦٢) مع مقدمة للمؤلّف (صفحة ٣٨ — ٤٠) وبعده مقتبسات من كليلة ودمنة استخرجها أخي الدكتور محمد يوسف نجم ونشرها بمجلّة الأبحاث .

فما بين أيدينا من الغرّة إنّما هو قسم من الكتاب يضمّ ملخصاً لثلاثة علوم من علوم العرب هي الشعر والنحو والعروض، كما يضمّ ما تميّزت به أمم أربع أخرى — سوى العرب — وفهرستاً لأهم المصادر التفصيليّة التي يحتاجها من يريد التوسّع والاستزادة ، وقد

١ الغرة : ٣٦ .

صرّح المؤلف أنّه تحدّث في قسم سابق عن أصول علم الديانة وعن علوم أخرى يشترك فيها العرب وغير العرب ، كما أورد هنالك طائفة من الأخبار المروية .

ومَنْ درسَ الفهرست الذي أورده المؤلّف والشعراء الذين ترجم لهم استطاع أن يقدّر أنّه لم يتجاوز مطلع القرن الرابع بسنوات كثيرة ، وقد كان هذا التقدير الذي أخذنا به سبباً في ارتفاع أهمية الكتاب ، إذ وجد الدكتور نجم أنّه يورد أقدم نصّ من كليلة ودمنة ، كما اعتبرته يورد أقدم نصّ من عهد أردشير ؛ ولكنّا لم نستطع أن نذهب إلى أبعد من ذلك إذ لم نجد شيئاً من تراجم الذين نقل عنهم مؤلّف الكتاب ، كما أنّه يذكر كتاباً آخر له عنوانه : « دلائل الموحدين والردّ على الملحدين » وهو كتاب ردّ به مقالات السوفسطائيين[1] ، وقد بحثنا عن كتاب بهذا الاسم فلم نعثر عليه لمؤلّف في الفترة التي قدرناها .

وأثناء مطالعة أخيَ الدكتور محمد نجم لكتاب المنصف لابن وكيع التنيسي — بُعَيد ذلك — عثر على خبر غاية في الأهميّة ، فقد قال ابن وكيع هنالك : « أخذ هذا من شعر أورده جدي وكيع . . . في كتاب « الغرّة »[2] ، وإذا كان البيت الذي ذكره مؤلف المنصف غير وارد في القسم الباقي لدينا من الكتاب الذي

١ الغرة : ١٣٢ .
٢ المنصف ، الورقة ٣٩ ا (مخطوطة برلين) .

يحمل هذا الاسم ، فإن ذكر اسم الكتاب — كما هو مثبت على النسخة التي بين أيدينا — ونسبته إلى وكيع يُعدّ كشفاً خطيراً ؛ وقد عدنا إلى ترجمة وكيع في المصادر فوجدناها تذكر له كتاباً اسمه « الغرر »[1] وقد تصحف في طبعة فلوجل من الفهرست فكتب « الغزو »[2] ؛ فليس من المستبعد أن يكون الكتاب الذي أنقل عنه عهد أردشير هو نفس الكتاب الذي ذكره ابن وكيع ، ومما يقوّي هذا التقدير :

١) أن تقديرنا الزمني لتاريخ مؤلّف الكتاب يتّفق والزمن الذي عاش فيه وكيع (فقد توفّي عام ٣٠٦ ه وذلك يعني مطلع القرن الرابع) .

٢) أن ورود اسم « الغرر » في المصادر لا يبعد الظنّ بل يقرّبه ، ومن السهل أن تتحوّل لفظة « الغرة » — وهي الاسم الأصلي للكتاب — فتصبح « الغرر » .

٣) تقول المصادر إن الكتاب في الأخبار وهو وصف لا يبعد عن طبيعة الكتاب أو عن القسم الأوّل منه — على الأقل — إذ يقول المؤلّف : « عطفنا على الشعر في هذا المكان بعقب الأخبار المروية إذ كان أحد ما يروى من أصناف علوم العرب »[3] .

٤) أنّ طبيعة الكتاب لا تبعد عمّا عُرف عن القاضي محمّد بن

١ انظر مثلا الوافي بالوفيات ٣ : ٤٤ .
٢ الفهرست : ١١٤ .
٣ الغرة : ١٦٣ .

خلف المشهور بوكيع ، فقد قيل فيه : « وكان متفنناً في جميع الآداب »[1] وقيل فيه : « كان عارفاً بالسير وأيّام الناس ، صنّف عدّة كتب »[2] وتدلّ مؤلّفاته التي ذكرت أسماؤها على تعدّد اتجاهاته في التأليف ؛ هذا وإن المصادر لم تستوفِ ذكر تلك المؤلّفات وهذا يفسر تقصيرها في ذكر كتابه : « دلائل الموحدين » .

ذلك هو ما أراه في هذا الكتاب ، ومهما يكن من أمر ، يظلّ « الغرة » من الناحية الزمنيّة أقدم المصادر التي اعتمدتّها في تحقيق العهد ؛ سواء أكان مؤلّفه هو القاضي وكيع أو غيره ، أمّا الأصلان الآخران فهما :

(ب) العهد كما ورد في كتاب « تجارب الأمم » لمسكويه ، وهو في الجزء الأوّل من النسخة المصورة بالزنكوغراف في ليدن (١٩٠٩) يشغل الصفحات : ٩٩ — ١٢٧ .

(ج) العهد كما ورد في كتاب نثر الدُّرر للآبي منقولاً عن مصورة دار الكتب رقم ٤٤٢٨ — الجزء السابع — وهي مصورة عن نسخة كوبريلي ؛ ويشغل اللوحات : ٧٤٤ — ٧٥٢ .

والأصول الثلاثة متقاربة كثيراً ، وليس بينها من فروق إلاّ ما يحدث من زيادة أو نقص أو خطإ بسبب عمل النساخ ، وفي بعض المواطن يبدو أن نصّ « الغرة » يمثل مسودة للترجمة غير

١ الفهرست : ١١٤ .
٢ الوافي ٣ : ٤٣ — ٤٤ .

منقحة ، وأن كلاً من مسكويه والآبي – والنصّان يتطابقان عندهما إلى حدّ كبير – قد حاولا ، أو حاول أحدهما أو غيرهما ، إعمال يد التنقيح في الترجمة ، وهذا يتضح من المقارنات التي أجريتها بين النسخ وأثبتُّها في باب التعليقات ، كما يتضح من الزيادات التي لا تمثل في كلّ حين سدّاً لنقص حدث في نصّ الغرة بمقدار ما تمثل شيئاً من الحرص على الناحية البيانية في الأسلوب .

وقد رمزت لنسخة مسكويه بالحرف (م) ولنسخة نثر الدُّرر بالحرف (ر) وزدت على نصّ الغرة ما اجتمعتا متفقتين على إيراده زائداً عليها ، وجعلته بين معقفين دون إشارة إلى ذلك برقم ، فإن انفردت إحداهما بالزيادة أشرت إلى ذلك ؛ فإن اتفقتا على نصّ مخالف لما في الغرة فالغالب أن أُبقي النصّ الأصلي على حاله إلاّ إن كان الخطأ فيه واضحاً لا محمل فيه لتأويل .

وإلى جانب هذه الأصول الثلاثة وجدت صورة رابعة نُشرت مع الأدب الصغير لابن المقفع ومع بعض حِكَم مختارة في كتيب واحد صدر سنة ١٣١٨ ﻫ في ست عشرة صفحة ، يقع العهد فيها من صفحة ١ – ٨ ، وقد ذكر هنالك أنّه نشر عن نسخة كتبت سنة ٧١٠ ﻫ ، وهذه هي الصورة التي أعاد نشرها الأستاذ محمد كرد عليّ في كتاب « رسائل البلغاء »[1] ، وهي تلخيص لعهد

١ انظر رسائل البلغاء : ٣٨٢ (الطبعة الثالثة) ويقول الأستاذ كرد علي إن النص منتخب من عهد أردشير عني بنشره العلامة أحمد تيمور باشا عن نسخة كتبت سنة ٧١٠ .

أردشير ، ومع التلخيص تغيير في الأسلوب يحوّل بعض المعاني عن دلالتها الأصلية ، ولست أعلم شيئاً عمّن قام بهذا التلخيص ولكني قارنت بينه وبين نصّ العهد ، وأثبتُّه مجزأً في المواضع الملائمة من التعليقات المرفقة .

وبعد تحقيق نصّ العهد ، تتبعت أقوال أردشير في المصادر العربيّة المتيسرة ، فما كان منها مستخرجاً من العهد نفسه أدرجته في موضعه من التعليقات ، وما كان من خطبه ورسائله الأخرى جمعته في ضميمة واحدة ، وجعلته ملحقاً مستقلاً ، إتماماً للفائدة العلميّة .

وأُحبّ في ختام هذه المقدّمة أن أتقدّم بوافر الشكر للصديق الأستاذ خير الدين الزركلي الذي أذن لي باستخراج العهد من نسخته الخاصة من كتاب « الغرة » ، والصديق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم الذي أرسل إليّ صورة عهد أردشير منسوخة من « تجارب الأمم » ، والصديق الأستاذ فؤاد السيّد الذي استنسخ لي العهد من كتاب « نثر الدُّرر » ووجّه انتباهي إلى الملخص المنشور منه سنة ١٣١٨ .

إحسان عباس

عهد أردشير

وهذا عهد أردشير الملك :

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم[1] : من أردشير ملك الملوك[2] إلى من يخلف[3] بِعَقِبِهِ من ملوكِ فارس السَّلامُ والعافيةُ :

١ – إنَّ[4] صِيَغَ الملوكِ على غَيْرِ صِيَغِ الرَّعيَّة[5]. فالملكُ بطبعه العزُّ والأَمنُ والسُّرُورُ والقدرةُ على طباع الأَنَفَة[6] والجرأَةِ والبَطَر والعَبَث[7] ، ثمَّ له[8] كلَّما ازداد في العمرِ تنفُّساً وفي الملك سلامةً زيادةٌ[9] في هذه الطَّبائعِ الأَربع[10] حتَّى يُسلمَهُ ذلك منه[11] إلى سُكْرِ السُّلطانِ الَّذي هو أَشدُّ من سُكْرِ الخمر[12] ونحابته[13] فينسى النَّكباتِ [والعثراتِ][14]

والغِيَرَ والدَّوائرَ وفُحْشَ تَسَلُّطِ الأَيَّام ولؤمَ غلبةِ الدَّهر ، [٤١] فيرسل يدَهُ ولسانَهُ بالقولِ والفعلِ[١٥] ، وقد قال الأَوَّلونَ منَّا : « عند حُسْنِ الظَّنِّ بالأَيَّام تحدثُ الغِيَرُ » ، وقد كان من أُولئك[١٦] الملوكِ مَنْ يُذَكِّرُهُ عزُّهُ الذُّلَّ ، وأَمنُهُ الخوفَ ، وسرورُهُ الكآبةَ ، وقدرتُهُ المَعْجَزَةَ ، فإِذا هو قد جَمَعَ مُهْجَةَ الملوك وفكرةَ[١٧] السُّوقَةِ ، ولا حَزْمَ إِلاَّ في جمعهما[١٨] .

٢ ـ اعلموا أَنَّ الَّذي أَنتم لاقون بعدي هو الَّذي لقيته[١٩] من الأُمور ، وأَنَّ الأُمور بعدي[٢٠] واردةٌ عليكم بمثلِ الَّذي وَرَدَتْ به عليَّ[٢١] ، فيأتيكم السُّرورُ والأَذى في المُلْكِ من حيثُ أَتياني ، وأَنَّ منكم مَنْ سيركبُ المُلْكَ صعباً ، فيُمْنَى من شِماسِهِ وجِماحِهِ وخَبْطِهِ[٢٢] واعتراضِهِ بمثلِ الَّذي مُنيتُ به منه[٢٣] ، وأَنَّ منكم[٢٤] مَنْ سيرثُ المُلْكَ عن الكُفَاةِ المذلِّلين[٢٥] له مركَبَهُ ، وسيجري على لسانِهِ ويُلَقَّى

في أُمْنِيَّتِهِ[٢٦] أَنْ قد فُرِغَ له ، وكُفِيَ واكتفى ، وفَرَغَ للسَّعي في الملاهي واللَّعِبِ[٢٧] ، وأَنَّ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الملوك إِلى التَّوطيد[٢٨] له أَجْرَوْا ، وفي التَّمكين له سَعَوْا ، وأَن قد خُصَّ بما حُرِموا وأُعطي ما مُنعوا ، فيُكْثِرُ أَنْ يقول مُعلناً أَو مُسِرًّا[٢٩] : خُصُّوا بالعمل وخُصِصْتُ بالدَّعَةِ ، وقُدِّمُوا قبلي إِلى الغرر وخُلِّفْتُ[٣٠] في الثِّقَةِ ؛ وهذا البابُ من الأَبوابِ الَّتي يكثُرُ بها فنونُ البلاءِ[٣١] وتُعْيي البَصيرَ عن لطيفِ[٣٢] ما يتهتَّكُ[٣٣] من الأُمورِ في [٤٢] ذلك ؛ فإِنَّا قد رأَينا المَلِكَ الرَّشيدَ السَّعيدَ المنصورَ [المكفيَّ] المظَفَّرَ الحازمَ في الفرصةِ البَصيرَ بالعورة ، اللَّطيفَ للشُّبهةِ[٣٤] ، المبسوطَ له [في][٣٥] العِلمِ والعمرِ ، يَجْتَهِدُ فلا يَعْدُو إِصلاحَ مُلْكِهِ حياتَه إِلاَّ أَن يتشبَّهَ مُتَشَبِّهٌ به[٣٦] ، ورأَينا المَلِكَ القصيرَ عمرُهُ ، القريبةَ مُدَّتُهُ إِذا كانَ سعيُهُ بإِرسالِ اللِّسانِ بما قالَ واليدِ بما عَمِلَتْ ، بغير صواب

تدبيرٍ[٣٧] ، أَفسدَ واستفسَدَ[٣٨] جميعَ ما قَدَّمَ له مَنْ قَبْلَهُ ، وخلَّف[٣٩] المملكةَ خراباً من بعده[٤٠] .

٣ ـ وقد علمتُ أَنَّكم سَتُبْتَلَوْنَ[٤١] ، مع المُلْكِ ، بالأَزواجِ والأَولادِ والقُرَناءِ والوزراءِ والأَخْدانِ والأَصحابِ والأَنصارِ[٤٢] والأَعوانِ والمتنَصِّحين[٤٣] والمتقَرِّبين والمُضحِكين والمتزيِّنين[٤٤] : كلُّ هؤلاءِ ـ إلَّا قليلاً ـ لأَنْ يأخذَ لنفسِهِ أَحَبُّ إليه من أَن يُعطيَ منها ، إنَّما[٤٥] عَمَلُهُ لِسُوقِ يَوْمِهِ وحياةِ غَدِهِ ، فنصيحتُهُ للملوك[٤٦] فَضْلُ نصيحتِهِ لنفسه ، وغايةُ الصَّلاحِ عنده صلاحُ نفسه ، وغايةُ الفسادِ عنده فسادُها ، يجعلُ نفسَهُ هي العامَّةَ ويجعلُ العامَّةَ[٤٧] هي الخاصَّةَ . فإذا خُصَّ بنعمةٍ دونَ النَّاسِ فهيَ عنده نعمةٌ عامَّةٌ ، وإذا عُمَّ النَّاسُ بالنَّصرِ على العدوِّ والعدلِ في البَيْضَةِ والأَمن على الحريم والحفظِ للأَطرافِ والرَّأفةِ من

المَلِكِ والاستقامةِ [٤٣] من الملك ، ولم يُخْصَصْ من ذلك بما يُرْضيه ، سمَّى تلكَ النِّعمةَ نعمةً خاصَّةً ثمَّ أَكثرَ شكايةَ[٤٨] الدَّهْرِ ومذَمَّةَ الأُمورِ ، يُقيمُ للسُّلطانِ سُوقَ المَوَدَّةِ ما أَقامَ له سوقَ الأَرباحِ ، ولا يعلمُ ذلك الوزيرُ والقرينُ أَنَّ الوضيعةَ عنده في التماسِ الرِّبحِ على السُّلطان[٤٩] ، وقد قال الأَوَّلونَ منَّا : « رشادُ الوالي خيرٌ للرَّعيَّةِ من خِصْبِ الزَّمانِ »[٥٠] .

٤ ـ واعلَموا أَنَّ المُلْكَ والدِّينَ أَخوانِ[٥١] تَوْأَمانِ ، لا قَوامَ لأَحدِهما إلَّا بصَاحِبِهِ ، لأَنَّ الدِّينَ أُسُّ المُلْكِ [وعماده] ، ثمَّ صار المُلْكُ بعدُ حارسَ الدِّينِ ، فلا بُدَّ للمُلْكِ من أُسِّهِ ، ولا بُدَّ للدِّينِ من حارسِهِ ، لأَنَّ ما لا حارِسَ له ضائعٌ ، وما[٥٢] لا أُسَّ له مَهْدُومٌ[٥٣] . وإنَّ رأسَ ما أَخافُ عليكم مبادرةُ السِّفْلَةِ إيَّاكم إلى دِراسَةِ الدِّين وتلاوتِهِ والتَّفقيه[٥٤] فيه ، فتحملكمُ

الثِّقةُ بقوَّةِ السُّلطانِ[٥٥] على التَّهاوُنِ به ، فتحدثُ[٥٦] رياساتٌ مستسرَّاتٌ في مَنْ قد وَتَرْتُمْ وجَفَوْتُمْ وحَرَمْتُمْ [وأَخَفْتُمْ] وصَغَّرْتُمْ مِنْ سِفْلة [النَّاسِ و] الرَّعيَّة وحَشْوِ العامَّةِ . واعلَموا أنَّه لن[٥٧] يجتمعَ رئيسٌ في الدِّين مُسِرٌّ ورئيسٌ في المُلْكِ مُعْلِنٌ في مملكةٍ واحدة قطُّ إلاَّ انتزَعَ الرَّئيسُ في الدِّينِ ما في يَدِ الرَّئيسِ في المُلْك[٥٨] ، لأَنَّ الدِّينَ أُسٌّ والمُلْكَ عمادٌ ، وصاحبُ الأُسِّ أَولى بجميع[٥٩] البنيانِ من صاحب العماد .

٥ ـ وقد[٦٠] مضى قبلنا ملوكٌ كان المَلِكُ منهم [٤٤] يتعَهَّدُ الجملةَ بالتَّفسيرِ والجماعةَ بالتَّحصيل[٦١] والفراغَ بالأَشغال كَتَعَهُّدِهِ جَسَدَهُ بقصٍّ فضولِ الشَّعرِ والظُّفرِ وغَسْل الغَمْرِ والدَّرن[٦٢] ، ومداواةِ ما ظَهَرَ مِنَ الأَدواءِ وما بَطَنَ . وقد كان من أُولئكَ الملوكِ مَنْ صِحَّةُ مُلْكِهِ أَحَبُّ إليه من صِحَّةِ جَسَدِهِ ،

وكان بما يُخَلِّفُهُ مِنَ الذِّكْرِ الجميل [المحمودِ][٦٣] بعده أَبهجَ وأَفرَحَ[٦٤] منه بما يَسْمَعُهُ بأُذْنِهِ في حياتهِ فتتابَعَت تلك الأَملاكُ بذلك كأَنَّهمْ ملكٌ واحدٌ ، وكأَنَّ أَرواحَهُمْ روحٌ واحدة ، يمكِّنُ أَوَّلُهُمْ لآخِرِهِمْ ، ويصدِّقُ آخرُهُم أَوَّلَهُمْ ، بجميع أَنباءِ أَسلافِهِمْ ومواريثِ آبائِهِمْ وصِيَاغاتِ[٦٥] عُقُولِهِمْ عند الباقين[٦٦] منهم بعدهم ، فكأَنَّهُمْ جُلُوسٌ مَعَهُ يُحَدِّثُونَهُ ويُشَاوِرُهُمْ[٦٧] ، حتَّى كان على رأسِ دارا ابن دارا ما كان من غَلَبَةِ الإسكندر على ما غَلَبَ عليه من مُلكنا ، فكان إفسادُهُ أَمرَنا وتفريقُهُ جماعَتَنا وتخريبُهُ عمرانَ مملكتنا أَبلغَ له فيما يريدُ[٦٨] من سَفْكِ دمائِنا ، فلمَّا أَذِنَ اللهُ في جَمْعِ مملكتنا ودولةِ أَحسابنا كان من ٱبتعاثِ اللهِ[٦٩] إيَّانا ما كان ، وبالاعتبارِ يُتَّقَى العثارُ[٧٠] ، ومَنْ يَخْلُفنا أَوجدُ للاعتبارِ منَّا لما استدبروا مِنْ أَعاجيبِ ما أَتَى علينا .

٦ ـ وٱعلموا[٧١] أَنَّ سُلطانَكُمْ إِنَّما هو على أَجْسَادِ الرَّعيَّة [٤٥] وأَنَّهُ لا سلطانَ للملوكِ على القُلوبِ ، وٱعلموا أَنَّكم إِن غَلَبْتُمُ النَّاسَ على ذاتِ أَيديهمْ[٧٢] فلن تغلبوهُمْ على [عُقُولِهِمْ][٧٣] ، وٱعلَموا أَنَّ العاقِلَ المحرومَ[٧٤] سالٌّ عليكم لسانَهُ ، وهو أَقطعُ سَيْفَيْهِ ، وأَنَّ أَشَدَّ ما يضرُّكُمْ به من لِسانِهِ ما صَرَفَ الحيلَةَ فيهِ إِلى الدِّين ، فكان بالدِّينِ يحتَجُّ ، وللدِّينِ ، فيما يَظْهَرُ ، يَغْضَبُ ، فيكونُ للدِّين بكاؤهُ وإِليهِ دعاؤه ، ثمَّ هو أَوجدُ للتَّابعين والمصَدِّقين والمناصحين والمؤازرينَ منكم ، لأَنَّ بِغْضَةَ النَّاسِ [هي] موكَّلَةٌ بالملوك ، ومحبَّتَهم ورحمتَهم موكَّلةٌ بالضُّعفاءِ والمغلوبين[٧٥] . وقد كان مَنْ قبلنا من الملوكِ يحتالونَ لعقولِ مَنْ يحذرون بتخريبها فإِنَّ العاقِلَ لا تَنْفَعُهُ جَوْدَةُ[٧٦] نحيزتِهِ إِذا صُيِّرَ [عقلُه] خراباً مواتاً[٧٧] ، وكانوا يحتالونَ

للطَّاعنينَ بالدِّين على الملوك فَيُسَمُّونَهُمُ « المبتدعين » فيكونُ الدِّينُ هو الَّذي يَقْتُلُهُم ويُريحُ الملوكَ منهم . ولا ينبغي للملكِ أَن يعتَرِفَ للعُبَّادِ والنُّسَّاكِ والمُتَبَتِّلين[٧٨] أَن يكونوا أَوْلى بالدِّينِ ولا أَحدبَ عليه ولا أَغْضَبَ له منه ، ولا ينبغي له[٧٩] أَنْ يَدَعَ النُّسَّاكَ وغيرَ النُّسَّاكِ بغير الأَمرِ والنَّهيِ لهم في نُسُكِهِمْ ودينهم[٨٠] فإِنَّ خروجَ النُّسَّاكِ [وغيرِ النُّسَّاك] من الأَمرِ والنَّهي عيبٌ على الملوك وعيبٌ على المملكةِ وثُلْمَةٌ يَتَسَنَّمُها النَّاسُ بيِّنَةُ الضَّررِ للملك ولمن بَعْدَه .

٧ ـ واعلموا أَنَّ تَصَبُّرَ الوالي على غيرِ رَعِيَّتِهِ[٨١] وتَقْريبَهُ غَيْرَ وزرائِهِ فتحٌ [٤٦] لأَبوابِ الأَنْباءِ المحجوبِ[٨٢] عنه علمُها . وقد قيل : إذا استَوحَشَ الوالي ممَّن لم يُوَطِّنْ[٨٣] نفسَهُ عليه أَطْبَقَتْ عليه ظُلَمُ الجَهلِ[٨٤] ؛ وقيل : أَخْوفُ[٨٥] ما تكونُ العامَّةُ

آمنُ ما يكونُ الوزراء[٨٦] .

٨ – واعلموا[٨٧] أَنَّ دولتكم تُؤتَى مِنْ مكانين : أَحَدُهُما غلبةُ بَعْضِ الأُمَمِ المخالفةِ لكم ، والآخرُ فسادُ أَدَبِكُمْ[٨٨] . ولن يزالَ حَريمُكُمْ من الأُمَمِ محروساً ، ودينُكُمْ من غَلَبَة الأَديانِ محفوظاً ، ما عُظِّمَتْ فيكم الولاة[٨٩] ، وليس تَعْظِيمُهُمْ بِتَرْكِ كَلامِهِمْ ولا إجلالهم بالتَّنَحِّي عنهم ، ولا المحَبَّةُ لهم بالمحبَّةِ لكلِّ ما يُحِبُّون ، ولكنْ تعظيمُهُمْ تعظيمُ أَديانِهِم [وعقولهم][٩٠] وإجلالُهُمْ إجلالُ مَنزِلَتِهِمْ منَ اللهِ ، عزَّ ذكره[٩١] ، ومَحَبَّتُهُمْ مَحبَّةُ إصابَتِهِمْ وحكايَةُ الصَّواب عنهم[٩٢] .

٩ – واعلموا أَنَّه لا سبيلَ إلى أَن يُعَظَّمَ الوالي إلاَّ بإِصابة السِّياسةِ[٩٣] ؛ ورأسُ إصابةِ السِّياسةِ أَنْ يَفتَحَ الوالي مِنْ[٩٤] قِبَلِهِ للرَّعيَّةِ بابَين : أَحدُهُما بابُ رقَّة ورحمة ورأفة وتضَرُّع وبَذْل وتحَنُّن

وإلطافٍ ومُواساةٍ ومُؤانَسَةٍ[٩٥] وبِشْرٍ وتَهَلُّلٍ وعفوٍ[٩٥] وانبساطٍ وانشراح ، والآخرُ : بابُ غِلْظَةٍ وخُشْنَةٍ وتَصَعُّبٍ وتَشديدٍ وجَفاءٍ[٩٦] وإمساكٍ ومُباعدةٍ وإقصاءٍ ومُخالَفَةٍ ومَنْعٍ وقُطُوبٍ وعُبُوسٍ[٩٦] وانقباضٍ وتَضييقٍ وعقُوبَةٍ[٩٦] ومَحقُرَةٍ إلى أَن يَبْلُغَ القتلَ[٤٧]. واعلَموا أَنِّي لم أُسَمِّ لكم هذين البابينِ بابَ رِفْقٍ وبابَ عُنْفٍ ، ولكنِّي سَمَّيتهما جميعاً بابَيْ رِفْقٍ. واعلموا أَنَّ[٩٧] فَتْحَ بابِ المكروهِ مَعَ بابِ السُّرورِ[٩٨] أَوْشَكُ لإِغلاقِهِ حتَّى لا يُبتَلَى بهِ أَحَدٌ .

١٠ – واعلموا أَنَّ في الرَّعيَّة[٩٩] منَ الأَهواءِ الغالبةِ للرَّأي والفجورِ المستَثْقِلِ للدِّين ، والسِّفْلَةِ الحَنِقَةِ على الوجوهِ [بالنفاسةِ والحسدِ] ما لا بُدَّ معه من أَنْ يُقْرَنَ ببابِ الرأفة بابُ الغِلْظَةِ وببابِ الاستبقاءِ بابُ القَتْلِ. واعلموا أَنَّ الوالي قد يُفْسِدُ[١٠٠] بَعْضَ الرَّعيَّةِ مِنْ حِرْصِهِ على صَلاحِها ، وقد

يَغْلُظُ[١٠١] عليها مِنْ شِدَّةِ رأفتهِ بها[١٠٢] ، وقد يَقْتُلُ[١٠٣] فيها من حرصه على حياتها[١٠٤] .

١١ ـ وٱعلموا أَنَّ قِتالَكُمُ الأَعداءَ مِنَ الأُمم قَبْلَ قتالكم الأَدَبَ مِنْ أَنْفُسِ رعيَّتكم ليس بحِفْظٍ ولكنَّهُ إضاعَةٌ ، وكيف يُجاهَدُ العدُوُّ بقلوبٍ مختَلفةٍ وأَيدٍ مُتَعاديَةٍ ؛ وقد علمتم أَنَّ الذي بُنِيَ عليه النَّاسُ وجُبِلَتْ عليهِ الطَّبائعُ[١٠٥] حبُّ الحياةِ وبُغْضُ الموتِ ، وأَنَّ الحربَ تُباعِدُ من الحياة وتُدني مِنَ الموت[١٠٦] ، فلا صبرَ ولا محاماةَ[١٠٧] مَعَ هذا إلَّا بـأَحَدِ وجهين[١٠٨] : إمَّا بنيَّةٍ[١٠٩] ، والنيَّةُ ما لا يَقْدِرُ عليه[١١٠] الوالي عند النَّاس[١١١] بعد النيَّةِ الَّتي تكون أَوَّل[١١٢] الدولة ، وإمَّا بحُسْنِ الأَدَبِ وإصابةِ السِّياسةِ .

١٢ ـ وٱعلموا أَنَّ ذهابَ الدُّولِ يَبْدأُ[١١٣] مِنْ قِبَلِ إهمالِ [٤٨] الرَّعيَّةِ بغَيْرِ أَشغالٍ معروفةٍ ولا

أَعمالٍ معلومةٍ ، فإذا فشا الفراغُ في النَّاسِ تولَّدَ منه [النَّظَرُ في الأُمور ، والفكرُ في الأُصولِ ؛ فإذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطبائع][١١٤] مختلفةٍ ، فتختلفُ بهم المذاهبُ ، ثمَّ يتولَّدُ[١١٥] من ٱختلافِ مذاهبهمْ تعاديهمْ وتضاغُنُهم[١١٦] ، وهم مع[١١٧] ذلك مُجْمِعُونَ[١١٨] في ٱختلافهمْ على بُغْضِ الملوك ، لأَنَّ كلَّ صِنْفٍ[١١٩] منهم إنَّما يَجْري إلى فجيعةِ المَلِكِ بمُلْكِهِ ، ولكِنَّهمْ لمْ يجدوا[١٢٠] سُلَّماً إلى ذلك أَوْثَقَ من الدِّين ولا أَكثرَ أَتباعاً [ولا أَعزَّ امتناعاً] ولا أَشدَّ عند النَّاسِ صواباً[١٢١] ؛ ثمَّ يتولَّدُ مِنْ تعاديهم أَنَّ المَلِكَ لا يَستطيعُ أَن يَجْمَعَهُمْ[١٢٢] على هوًى واحدٍ ، فإذا انْفَرَدَ بعضُهُمْ[١٢٣] فهو عَدُوٌّ بَقِيَّتِهِمْ ، ثمَّ يتوَلَّدُ مِنْ عَداوَتِهِم للمَلِك[١٢٤] كَثْرَتُهُمْ ، فإنَّ شأنَ[١٢٥] العامَّةِ الإجماعُ[١٢٦] على ٱستثقالِ الولاة والنفاسةُ عليهم لأَنَّ في الرَّعيَّة المحرومَ والمضروبَ

والمُقامَ فيهِ وفي حميمه الحدودُ ، والدَّاخلَ عليه بعزِّ الملوك[١٢٧] الذُّلُّ في نفسه وخاصَّته ، فكلُّ هؤلاءِ يجري إلى مُتابعةِ أَعداءِ الملوك[١٢٧] ؛ ثمَّ يتولَّدُ من كثرتهمْ أن يَجْبُنَ [الملكُ] عن الإقدامِ عليهم ، فإنَّ إقدامَ الملك على جميع الرَّعيَّةِ تغريرٌ بنفسهِ ومُلْكِهِ[١٢٨] . ثمَّ يتولَّد مِن جُبْنِ الولاةِ عن تأديبِ العامَّةِ تَضييعُ الثُّغورِ الَّتي فيها الأُمَم مِنْ ذوي دين وذوي بأس[١٢٩] : [لأَنَّ المَلِك] إنْ سَدَّ الثُّغور بخاصَّته المناصحين خَلَتْ[١٣٠] به العامَّةُ المعاديةُ [٤٩] الحاسدةُ[١٣١] المنافِسةُ ، وإنِ التَمَسَ سَدَّ الثُّغورِ بالعامَّةِ الحاسدةِ[١٣٢] لم يَعْدُ بذلك تدريبَهُمْ في الحربِ وتَقْويَتَهُمْ بالسلاح[١٣٣] وتعليمَهم المكايِدَ[١٣٤] مع البِغْضةِ ، فهم عند ذلك أَقْوَى عدوٍّ وأَضرُّهُ وأَحْنَقُهُ[١٣٥] ، ولا بدَّ من استطرادِ[١٣٦] هذا كلِّه إذا ضُيِّعَ أَوَّلُهُ .

١٣ ـ فمن أَلْفَى الرَّعيَّةَ منكم[١٣٧] بعدي وهي

على حالِ أَقسامها الأَربعة [التي هي أَصحابُ الدِّينِ والحربِ والتَّدبيرِ والخِدْمَةِ] : من ذلك الأَساورةُ صنفٌ ، والعُبَّادُ والنُّسَّاكُ وسَدَنَةُ النِّيرانِ صنفٌ ، والكتَّابُ والمُنَجِّمونَ والأَطِبَّاءُ صِنْفٌ ، والزُّرَّاعُ والمُهَّانُ والتُّجَّارُ صنْفٌ[١٣٨] ؛ فلا يكوننَّ بإِصلاح جَسَدِهِ أَشَدَّ اهتماماً منه لإِحياءِ[١٣٩] تلك الحالِ وتفتيشِ ما يَحْدُثُ فيها من الدّخلاتِ ، ولا يكونُ[١٤٠] لانتقالِهِ عن المُلْكِ بأَجزعَ منه لانتقالِ صنفٍ من هذه الأَصنافِ إلى غير رُتْبَتِهِ ، لأَن تنقُّلَ النَّاسِ [عن مراتبهم][١٤١] سريعٌ في تَنَقُّلِ المَلِكِ عن مُلكه : إِمَّا إلى خَلْعٍ وإِمَّا إلى قَتْلٍ ، فلا يكونَنَّ لشيءٍ مِن الأَشياءِ بأَوحَشَ منه[١٤٢] مِنْ رأسٍ صارَ ذَنَباً وذَنَبٍ[١٤٣] صار رأساً ، أَو يَدٍ مَشْغولَةٍ أَحْدَثَت فراغاً[١٤٤] ، أَو كريمٍ ضريرٍ[١٤٥] أَو لئيمٍ مرح ، فإِنَّهُ يتولَّدُ مِنْ تَنَقُّلِ النَّاسِ عن حالاتِهمْ أَن

يلتمسَ كلُّ امرئٍ منهم أَسنَى من[146] مَرْتَبَتِهِ ، فإذا انتقلَ أَوشَكَ أَنْ يَرَى أَسنَى[147] ممَّا انتقلَ[٥٠] إليه فيَغْبِطَ وينافِسَ .

وقد علمتُمْ أَنَّ من الرَّعيَّةِ أَقواماً هُمْ أَقربُ النَّاسِ حالاً من الملوك[148] ، وفي تَنَقُّل النَّاسِ عن حالاتهم مَطْمَعَةٌ للَّذين يَلُونَ الملوكَ في المُلْكِ ، ومَطمعَةٌ للَّذينَ دونَ[149] الَّذينَ يلُونَ المَلِكَ في تلكَ الحالِ ، وهذا لِقاحُ بَوارِ المُلْكِ .

١٤ – ومن أَلفى الرَّعيَّةَ منكم بعدي وقد ضاعَ[150] أوَّل أَمْرِها فأَلفاها على ٱختلاف من الدِّين وٱختلالٍ من المراتبِ وضياعٍ من العامَّةِ وكانتْ به على[151] المكاثرةِ قوَّةٌ فليكاثرْ[152] [بقوَّته ضَعْفَهُمْ ، وليبادرْ بالأَخذ بأَكظامِهِمْ] قبلَ أَنْ يأخذوا[153] بكظمه ، ولا يقولَنَّ[154] أَخافُ العَسْفَ ، فإِنَّما يخافُ[155] العسفَ مَنْ خافَ[156] جريرةَ العَسْفِ على

نفسه ، فأَمَّا إذا كانَ العَسفُ لبعضِ الرَّعيَّة صلاحاً لبقيَّتها وراحةً له ولمن بَقيَ من الرَّعيَّةِ معهُ من النَّغَل والدَّغَل والفساد ، فلا يكونَنَّ إلى شيءٍ بأَسْرَعَ منهُ إلى ذلك ، فإِنَّهُ ليسَ نَفْسَهُ [ولا أَهْلَ موافقته] يَعْسِفُ ، ولكنَّه[157] يعسفُ عَدُوَّهُ .

ومَنْ أَلفى منكمُ الرَّعيَّةَ في حالِ فَسادِها ولم يَرَ بنفسِهِ عليها قوَّةً في إصلاحها[158] فلا يكونَنَّ لقميصٍ قَمِلٍ بأَسرَع خلعاً منه لما لبسَ[159] من ذلك المُلْكِ ، وليأْتِهِ البوارُ إذا أَتاهُ وهو غيرُ مذكور بشُؤمٍ ، ولا مُنَوَّهٍ به في دناءة ، ولا مَهتوكٍ به سترُ ما[160] في يَدَيْهِ .

١٥ – ٱعلموا[161] (٥١) أَنَّ فيكم مَنْ يستريحُ إلى اللهوِ والدَّعة ثمَّ يديمُ من ذلك ما يُورثُهُ خُلُقاً وعادةً ، فيكونُ ذلك لقاحَ جدٍّ لا لهوَ فيهِ ، ونَصَبٍ لا خَفْضَ[162] معَهُ ، مَعَ الهُجْنَةِ في الرَّأي

والفضيحةِ في الذِّكر . وقد قال الأَوَّلونَ منَّا : «لَهْوُ رعيَّةِ الصِّدْقِ بتقريظِ الملوك ، ولهوُ ملوكِ الصِّدقِ بالتَّوَدُّدِ إلى الرَّعيَّةِ » .

١٦ – اَعلموا[١٦١] أَنَّ مَنْ شاءَ منكم أَلاَّ يسيرَ بسِيرَةٍ إلا قُرِّظَتْ له ، فَعَلَ ؛ وأَنَّ منكم مَنْ إن شاءَ[١٦٣] بَعَثَ العيونَ على نَفْسِهِ فأَذْكاها ، فلم تكنِ النَّاسُ بعيبِ نفوسهمْ أَعلَمَ منهُ بعيبِ نفسه[١٦٤] .

١٧ – اَعلموا[١٦٥] أَنَّهُ ليس منكم مَلِكٌ إلَّا كثير التَّذكُّرِ[١٦٦] لمن يلي الأَمرَ مِنْ بَعْدِهِ[١٦٧] ، ومِنْ فَسادِ المُلْكِ[١٦٨] نشرُ أُمورِ وُلاةِ العهودِ فإِنَّ في ذلك من الفسادِ أَنَّ أَوَّلَهُ دخولُ عداوةٍ مُمِضَّةٍ بين الملك ووليِّ عَهْدِهِ . وليسَ يتَعادَى مُتَعاديانِ بأَشَدَّ مِنْ أَن يَسْعَى كلُّ واحدٍ[١٦٩] منهما في قَطْعِ شَوْكَةِ صاحبه ، وهكذا الملكُ ووليُّ عهده ، لا يَسُرُّ الأَرفعَ أَن يعطي هذا[١٧٠] الأَوْضَعَ سُؤلَهُ في [فنائه ولا يسرُّ

هذا الأَوضعَ أَن يعطي الأَرفعَ سُؤلَهُ في] البقاء ، ومتَى يَكُنْ فرحُ أَحدِهما في الراحةِ من صاحبه [تدخلْ كلَّ واحدٍ منهما وحشةٌ من صاحبه] في طعامه وشرابه ، ومتى تباينا بالتُّهمةِ يتَّخذْ كلُّ واحدٍ مِنهما [أَحبَّاءَ وأَخداناً وأَهلاً ، ثمَّ يدخلُ كلَّ واحدٍ منهما][١٧١] وغَرٌ على أَحبَّاءِ صاحبه[١٧٢] ، ثمَّ تنساقُ الأُمورُ إلى هلاكِ أَحدهما لما لا بدَّ منه من الفناءِ فتفضي [٥٢] الأُمورُ إلى الآخر وهو حَنِقٌ على جُمَلٍ[١٧٣] من النَّاسِ يرى أَنَّهُ موتورٌ إن لم يحرمْهُم ويَضَعْهُمْ وينزلْ بهم المنزلةَ الَّتي كانوا يريدونَ إنزالَها به لو ولوا[١٧٤] . فإِذا وَضَعَ[١٧٥] بعضَ الرَّعيَّةِ وأَسخطَ بعضاً [على هذه الجهة] تولَّد من ذلك ضِغْنٌ وسَخَطٌ من الرَّعيَّةِ ثمَّ ترامَى ذلك إلى بعضِ ما أَحْذَرُ عليكم بعدي . ولكنْ لينظرِ الوالي منكم للهِ ولرعيَّتهِ ثمَّ لنفسِهِ ، ثمَّ لينتخبْ وليًّا[١٧٦]

للعهدِ مِنْ بعده ، ثمَّ ليكتبِ[١٧٧] ٱسمَهُ في أَربعِ صحائفَ فيختِمُها بخاتَمِهِ فيضعُها عند أَربعةِ نفرٍ هم خيارُ أَهل مملَكتِهِ[١٧٨] ، ثمَّ لا يكونَنَّ[١٧٩] منه في سِرٍّ ولا علانيةٍ أَمرٌ يُسْتَدَلُّ به على وليِّ [ذلك] العهدِ لا في إِدناءٍ وتقريبٍ يُعْرَفُ به ، ولا في إِقصاءٍ وتنكُّبٍ يُستَرابُ له ، وليَتَّقِ ذلك في اللَّحظَةِ والكلمةِ ، فإِذا هَلَكَ جُمِعَتِ الكتُبُ الَّتي نَسَخَها فَفُضَّتْ جميعاً[١٨٠] ، ثمَّ يُنَوَّهُ باسمِ الَّذي[١٨١] وُضِعَ ٱسمُهُ في جميعهنَّ ، فيلقى المُلْكَ إِذا لقيه بحداثَةِ عهدِهِ بحالِ السُّوقة ، فيلبسُ[١٨٢] ذلكَ المُلْكَ [إِذا لبسه] ببصرِ السُّوقة وسَمْعِها ورأْيِها . فإِن في سُكْرِ السُّلطانِ الَّذي بيَّنَّاهُ[١٨٣] ما يُكْتَفَى به [له] من سُكْرِ ولايةِ العهدِ مع سُكر المُلْك ، فيُصَمُّ[١٨٤] قبل لقاءِ الملكِ ويعمى كصَمَمِ الملوكِ وعماهم [ثمَّ يلقى المُلْكَ] فيزيدُه صمَماً وعمًى

مع ما يَلْقَى في ولايةِ العَهْدِ من بَطَرِ السُّلطانِ وحيلةِ [٥٣] العُتاةِ وبغي الكذَّابين وتَرقيَةِ النَّمَّامين وتحميل الوشاةِ بينَهُ وبين [مَنْ] فَوْقَهُ[١٨٥] .

١٨ – ثمَّ ٱعلموا أَنَّه ليسَ للملك أَن يبخلَ لأَنَّ البُخْل لقاحُ الحِرصِ[١٨٦] ، وليسَ له أَن يكذِبَ لأَنَّهُ لا يَقدِرُ [أَحدٌ] على استكراهه ، وليسَ له أَن يَغْضَبَ لأَنَّ الغضبَ والعداوةَ[١٨٧] لقاحُ الشَّرِّ والنَّدامةِ ، وليسَ له أَن يَلْعَبَ ولا يعبثَ فإِن اللَّعبَ والعبثَ [من] عملِ الفُرَّاغِ ، وليسَ له أَن يَفْرُغ لأَنَّ الفَرَاغَ من أَمرِ السُّوقةِ ، وليسَ له أَن يَحْسُدَ[١٨٨] إِلَّا ملوكَ الأُمم على حُسْنِ التَّدبير ، وليسَ له أَن يخافَ لأَنَّ الخوف من أَمْرِ المُعْورِ[١٨٩] ، وليسَ له أَن يتسَلَّطَ[١٩٠] إِنْ هُوَ أَعور[١٩١] .

١٩ – ٱعلموا أَنَّ زَيْنَ الملوكِ في استقامةِ الحالِ أَلا تختَلِفَ منه ساعاتُ العمل والمباشرةِ

وساعاتُ الفراغِ والدَّعةِ ، وساعاتُ الركوبِ والتَّنَزُّهِ[١٩٢] ، فإِنَّ اختلافَها منه خِفَّةٌ ، وليسَ للملك أن يخفَّ[١٩٣] .

٢٠ ـ ٱعلموا أَنَّكم لستمْ على خَتْمِ أَفواهِ النَّاسِ قادرين[١٩٤] ، ولا قدرةَ لكم على أن تجعلوا القبيحَ حَسَناً .

٢١ ـ وٱعلموا[١٩٥] أَنَّ لباسَ الملك ومَطْعَمَهُ مقاربٌ للباسِ السُّوقةِ ومَطعمِهِمْ وبالحري أَن يكونَ فرحهُما بما نالا من ذلك واحدًا ؛ وأَنَّ فَضْلَ الملِكِ على السُّوقةِ إِنَّما هو بقدرته[١٩٦] على اقتناءِ المحامدِ وقُوَّتِهِ على استفادةِ المكارِمِ[١٩٧] ، وأَنَّ المَلكَ إن شاءَ أَحْسَنَ وليسَ للسُّوقةِ[١٩٨] ذلك[١٩٩] .

٢٢ ـ ٱعلموا أَنَّه يحقُّ [٥٤] على المَلك [منكم] أَن يكونَ أَلطفَ ما يكونُ نظراً أَعظم ما يكونُ خطرًا ، وأَن لا يُذْهِبَ حُسْنَ أَثرِهِ في الرَّعيَّةِ

خوفُهُ لها ، وأَن لا يستغني بتدبيره اليومَ عن تدبير غدٍ ، وأَن يكون[٢٠٠] حَذَرُهُ للملاَّقين أَشدَّ من [حذره للمباعدين ، وأَن يتَّقي بطانةَ السُّوءِ أَشدَّ من][٢٠١] اتِّقائه عامَّةَ السُّوءِ ، ولا يطمعنَّ ملكٌ في إِصلاحِ العامَّةِ إن لم يبدأ بنفسه ثمَّ بالحامةِ والخاصَّةِ[٢٠٢] .

٢٣ ـ [و] ٱعلموا أَنَّ لكلِّ ملكٍ بطانةً ، وأَنَّ لكلِّ رجلٍ من بطانتهِ بطانةً ، ثمَّ لكلِّ رجلٍ[٢٠٣] من بطانةِ البطانة بطانةٌ ، حتَّى يجتمعَ ذلك في جميعِ أَهْلِ المملكةِ ، فإِذا أَقامَ المَلكُ بطانَتَهُ[٢٠٤] على حالِ الصَّوابِ أَقامَ كلُّ امرىءٍ منهم بطانَتَهُ على مِثْلِ ذلك حتَّى تجتمعَ على الصَّلاح عامَّةُ الرَّعيَّةِ[٢٠٥] .

٢٤ ـ ٱعلموا أَنَّ المَلِكَ منكم قد يهونُ[٢٠٦] عليه العيوبُ لأَنَّه لا يُسْتَقْبَلُ بها ، وإنْ عَمِلَها على

أنَّ[٢٠٧] النَّاسَ يتكاتمونها[٢٠٨] [بينهم] ككتمانِهِمْ[٢٠٩] إيَّاهُ تلك العيوبَ ، وهذا من الأبوابِ الدَّاعيةِ إلى طاعةِ الهوى ، وطاعةُ الهوى تدعو[٢١٠] إلى غَلَبته ، فإذا غلب الهوى اشتدَّ[٢١١] علاجُهُ من السُّوقةِ المغلوبةِ فضلاً عن المَلكِ الغالِبِ .

٢٥ – ٱتَّقوا باباً واحدًا طال ما أَمِنْتُهُ فضرَّني وحَذِرْتُه فنَفَعني : ٱحذروا إفشاءَ السِّرِّ عند الصِّغارِ من أهليكم وخَدَمِكُم [٥٥] ، فإنَّه لا يصغرُ[٢١٢] أحدٌ منهم عَنْ حَمْلِ ذلك السِّرِّ كاملاً [حتَّى][٢١٣] لا يُضيعَ منه شيئاً حتَّى يَضَعَهُ[٢١٤] [حيث تكرهون] إمَّا سَقَطاً وإمَّا عَشَاءً[٢١٥] ، والسَّقَطُ أكثَرُ ذلك[٢١٦] .

ٱجعلوا حديثَكُمْ لأهلِ المراتبِ وحباءَكم[٢١٧] لأهْلِ الجهادِ وبِشْرَكُمْ لأهلِ الدِّين وسِرَّكُمْ عند مَنْ يلزمُهُ خيرُ ذلك وشرُّه [وزَيْنُهُ وشَيْنُهُ][٢١٨] .

٢٦ – ٱعلموا أنَّ [صحَّة] الظُّنون مفاتيحُ اليقين

وأنَّكم ستستيقنونَ من بعضِ رعيَّتكم بخيرٍ وبشرٍّ[٢١٩] ، وستظنُّون ببعضهم خيرًا وشرًّا ، فمَنِ استيقنتمْ منهم[٢٢٠] بالخيرِ والشَّرِّ فليستيقننَّ منكم بالخير والشَّرِّ[٢٢١] ومن ظننتموهما به فليظنَّهما بكم في أمْرِهِ ، فعند ذلك يبدو منَ المُحْسنِ إحسانُهُ فيخالف الظَّنَّ فيَغْتَبِطُ ، ومن المُسيءِ إساءَتُهُ فيصدِّق الظَّنَّ[٢٢٢] فيَنْدَمُ .

٢٧ – [و] ٱعلموا أنَّ للشَّيطانِ في ساعاتٍ [من الدَّهر] طَمَعاً في السلطانِ عليكُمْ ، منها : ساعاتُ[٢٢٣] الغضبِ والحرصِ والزَّهْوِ ، فلا تكونُنَّ[٢٢٤] أشدَّ قتالاً منكمْ عندهنَّ حتَّى يَنْقَشِعْنَ .

وكان يقال : ٱتَّقوا[٢٢٥] مُقارنَةَ الحريصِ القادرِ[٢٢٦] فإنَّه إن رآك في القُرْبِ رأى منك أخْبَثَ حالاتِكَ ، وإنْ رآك في الفُضُولِ لم يَدَعْكَ وفُضولَكَ .

٢٨ – ٱسْتَعْبُدُوا الرَّأْيَ[٢٢٧] على الهوى فإنَّ ذلك تمليكٌ للرَّأي . [و] ٱعلموا أنَّ من شأن الرَّأي الاستخذاءَ للهوى إذا جرى [الهوى] على عادته . وقد [٥٦] عرفنا[٢٢٨] رجالاً كان الرَّجلُ منهم يُؤنِسُ من قوَّةِ طباعِهِ ونبالَةِ رأيهِ ما تُريه في نفسه[٢٢٩] أنَّهُ على إزاحةِ الهوى عنه – وإن[٢٣٠] جرى على عادتهِ ومُعاوَدَةِ الرَّأي وإن طالَ به عهده – قادرٌ لثقةٍ يجدها بقوَّةِ[٢٣١] الرَّأي ، فإذا تمكَّن منه الهوى[٢٣٢] فَسَخَ عَزْمَ رأيه حتَّى يُسَمِّيَهُ كثيرٌ من النَّاسِ ناقصاً في العَقْلِ ، فأَمَّا البُصَراءُ فيَستَبينونَ مِنْ عقلِهِ عند غَلَبَةِ الهوى عليه ما يُستبانُ من الأَرضِ الطيِّبَةِ المَواتِ .

٢٩ – [و] ٱعلموا أنَّ في الرَّعيَّةِ ضَرْباً[٢٣٣] من النَّاسِ هم بإِساءَةِ الوالي أَفْرَحُ منهم بإِحسانِهِ ، وإِنْ كان الوالي لم يَتِرْهُمْ وكان الزَّمانُ لم يَنْكُبْهُمْ ،

وذلك لاستطرافِ حادثاتِ الأَخبارِ ، فإِنَّ استطرافَ الأَخبارِ مَعْروفٌ من أَخلاقِ حَشْوِ النَّاسِ ثمَّ لا طُرْفَةَ عندهم إِلَّا فيما يَشْتَهِر[٢٣٤] ، فجمعوا في ذلك سرورَ كلِّ عدوٍّ [لهم و] لعامَّتهمْ مع ما وَتروا به أَنفُسَهُمْ وولاتَهُمْ ، فلا دواءَ لأُولئكَ إِلَّا بالأَشغالِ . وفي الرَّعيَّةِ ضرُوبٌ وَتَروا النَّاسَ كلَّهم وهم الَّذين قَوُوا على جَفْوَةِ الولاةِ ، ومَن قويَ على جَفْوَتِهِمْ فهو غيرُ سادٍّ ثَغْرًا ولا مُناصِحٍ إماماً ، ومَنْ غشَّ الإِمامَ فقد غَشَّ العامَّة[٢٣٥] ، وإِنْ ظنَّ أَنَّه للعامَّة ناصح[٢٣٦] . وكان يقال : لم[٢٣٧] ينصحْ عملاً مَنْ [٥٧] غَشَّ عامِلَهُ . وفي الرَّعيَّةِ ضروبٌ تركوا لِقاءَ[٢٣٨] الملوك مِنْ قِبَلِ أَبوابهم وأَتَوْهُمْ من قِبَل وُزَرائِهِمْ ، فليعلمِ الملكُ منكم أَنَّ مَنْ أَتاهُ مِنْ قِبَلِ بابهِ فقد آثرَهُ بنصيحةٍ[٢٣٩] ، إن كانَت عنده ، ومن أَتاهُ من قِبَلِ وزيرِه[٢٤٠] فهو مؤثرٌ للوزيرِ على المَلِكِ

في جميعِ ما يقولُ ويفعلُ . وفي الرَّعيَّةِ ضَرْبٌ دَعَوْا إلى أَنْفُسِهِم الجاهَ بالإِباءِ والرَّدِّ له ووجدوا ذلك عند المَغَفَّلين نافعاً[٢٤١] ، وربَّما قَرَّبَ المَلكُ الرَّجلَ من أُولئك لغَيْرِ نُبْلٍ في رأيٍ ولا إجزاءٍ في مَغيبٍ[٢٤٢] ولكنَّ الإِباءَ والرَّدَّ أَغرياهُ به . وفي الرَّعيَّةِ ضَرْبٌ أَظهروا التَّواضُعَ وٱستَشعروا الكِبْرَ ، فالرَّجلُ منهم يعظُ الملوكَ زارياً عليهم بالموعظةِ ، يجدُ[٢٤٣] ذلك أَسْهَلَ طريقَيْ طعنِهِ [عليهم] ، ويسمِّي هو وكثيرٌ معه ذلك مُحْرِزًا[٢٤٤] للدِّين ، فإن أُريدَ[٢٤٥] هوانُهُمْ لم يَعْرِفْ لهم [ذنباً يهانُون به] ، وإن أُريدَ[٢٤٦] إكرامُهُمْ فهي منزلَةٌ حَبَوْا بها أَنْفُسَهُمْ على رَغْمِ الملكِ ، وإن أُريد[٢٤٦] إسكاتُهُمْ كان السّماعُ في ذلك أَنَّه استَثقَلَ ما عندهم من حِفْظِ الدِّين ، وإنْ أُمروا بالكلامِ قالوا ما يُفْسِدُ ولا يُصلِحُ[٢٤٧] ، فأُولئكَ أَعداءُ الدُّوَلِ وآفاتُ الملوكِ[٢٤٨] . فالرَّأيُ

للملك[٢٤٩] تقريبهم إلى[٢٥٠] الدُّنيا فإِنَّهم إليها أَجْرَوْا ولها عَمِلوا[٢٥١] ، فإذا تلوَّثوا فيها بَدَتْ فَضائِحُهُمْ وكان[٢٥٢] في ما [٥٨] يُحْدِثُونَ ما يجعَلُ للملوكِ سُلَّماً إلى [سَفْكِ] دمائهم . وكان بعضُ الملوك يقول : «بعض القتل أَقلُّ للقتلِ[٢٥٣]» .

وفي الرَّعيَّةِ ضربٌ أَتَوُا الملوكَ من بابِ[٢٥٤] النَّصائح لهم ، والتمسوا إصلاحَ[٢٥٥] منازلِهِمْ بإِفسادِ منازلِ النَّاسِ ، فأُولئك أَعداءُ النَّاسِ وأَعداءُ الملوكِ ، ومَنْ عادى الملوكَ وجميع الرَّعيَّةِ[٢٥٦] فقد عادَى نَفْسَهُ .

٣٠ ـ [و] ٱعلموا أَنَّ الدَّهرَ حامِلُكُمْ على طَبَقاتٍ منهنّ : حالُ السَّخاءِ حتَّى تَدْنوا من السَّرَف ، ومنهنَّ حالُ التقتيرِ حتَّى تدنوا[٢٥٧] من البُخْلِ ، ومنهنَّ حالُ الأَناةِ حتى تدنوا[٢٥٨] من البلادة ، ومنهنَّ حالُ المناهَزَةِ لِلفُرْصَةِ حتَّى تدنوا من

الخفَّة ، ومنهنَّ حالُ الطَّلاقةِ في اللِّسان حتَّى تدنوا من الهَذَر ، ومنهنَّ حالُ الأَخذِ بحكم الصمتِ حتَّى تدنوا من العِيِّ ؛ فالملكُ [منكم] جديرٌ أَن يبلغَ من كلِّ طبقةٍ في محاسِنها حدَّها ؛ فإِذا وَقَفَ على الحدودِ الَّتي ما وراءَها سَرَفٌ ، أَلجَمَ نَفْسَهُ عمَّا وراءَ ذلك[259] .

٣١ – وٱعلموا أَنَّ الملكَ منكم ستعرضُ له شهواتٌ في [غير] ساعاتِها ، وأَنَّ الملك[260] إذا قَدَّرَ ساعةَ العملِ وساعةَ الفراغِ وساعةَ المطعم والمَشْرَبِ[261] وساعةَ الفَضْلَةِ واللَّهوِ[262] كان جديرًا أَن لا يُعْرَفَ منه استقدامٌ بالأُمورِ ولا استئخارٌ[263] عن ساعاتِها فإِنَّ اختِلافَ ذلكَ يُورِثُ مضرَّتين : إِحداهما سَخَفٌ وهو أَشدُّهما[264] ، والأُخرى نَقْصُ الجسدِ بنقصِ [٥٩] أَقواتِهِ[265] وحركاتِهِ .

٣٢ – [و] ٱعلموا أَنَّ مِنْ ملوككمْ مَنْ

سيقول : لِيَ الفضلُ على مَنْ[266] قبلي من آبائي وعمومتي ومن وَرِثْتُ عنهم[267] هذا الأَمرَ ، لبعضِ الإِحسانِ يكونُ منه ، فإِذا قال ذلك وسُوعِدَ[268] عليه بالمتابعةِ فليعلمْ ذلك الملكُ أَنَّهُ والمتابعينَ له وضعوا[269] أَيديَهم [وأَلسنَتَهم] في قَصْبِ آبائِهِ منَ الملوكِ وهمْ لا يشعرونَ ، وبالحري أَنْ يشعرَ بعضُ المتابعين[270] ، فَيُغضي[271] على ما لا يَحْزُنُهُ[272] من ذلك .

٣٣ – [و] ٱعلموا أَنَّ ابنَ الملكِ وأَخا الملك وابن أَخي الملك وابن عمِّ الملك[273] كلُّهم يقولُ : كدتُ أَن أَكون ملكاً وبالحري أَنْ لا أَموتَ حتَّى أَكونَ ملكاً ، فإِذا قال ذلك قال ما لا يَسُرُّ الملكَ ، فإِن كَتَمَهُ فالدَّاءُ في كل مكتوم[274] ، وإِن أَظهَرَه كَلَمَ[275] في قَلْبِ الملك كلَّ ما يكون لقاحاً للتَّباينِ والتَّعادي . ستَجدونَ[276] القائلَ لذلك من المتابعين

والمخيِّلين[٢٧٧] له ما تَمَنَّى لنَفسِهِ ما يزيدُهُ من ذلك[٢٧٨] إلَّا ما اشتاقَ إليهِ شَوْقاً ، فإذا تمكَّنَ في صدرِهِ الأَمَلُ في ذلك لم يرتجِ[٢٧٩] النَّيلَ له إلَّا في اضطرابٍ منَ الحَبْلِ وزعزَعةٍ تدخلُ على الملكِ وعلى أَهلِ[٢٨٠] المملكة ، فإذا تمَنَّى ذلك فقَدْ جعل الفسادَ سُلَّماً إلى الصَّلاح [ولم يكن الفَسادُ سُلَّماً إلى صلاحٍ قطُّ] . وقد رسَمتُ لكم في ذلك مثالاً لا مَخرَجَ لكم من هذا الدَّاءِ إلَّا به[٢٨١] : اجعلوا المُلْكَ [٦٠] لا يَنبغي إلَّا لأَبناءِ المُلوكِ من بناتِ عمومتهم[٢٨٢] ثمَّ لا يصلحُ من أَولادِ بناتِ الأَعمامِ سخيفُ العَقْلِ ولا ناقصُ الجوارح[٢٨٣] فإنَّكم إذا فَعلتُمْ ذلك قلَّ طُلَّابُ المُلْكِ ، وإذا قَلَّ طُلَّابُه استراحَ كلُّ امرىءٍ واقتصرَ على [ما] يليه ، واستكثَر كلُّ امرىءٍ حالَهُ وغَضَّ بَصَرَهُ ورَضيَ بمَعيشَتِهِ واستَطاب زمانَهُ[٢٨٤] .

٣٤ – واعلموا أَنَّهُ سيقولُ قائلٌ مِنْ عُرْضِ رعيَّتكم أَو من ذوي قرابتكم : ما لأَحَدٍ عليَّ فَضلٌ لو كان لي مُلْكٌ ، فإذا قال ذلك فقد تمَنَّى المُلْكَ وهو لا يَشْعُرُ ، ويوشِكُ أَن يتَمنَّاهُ بعد ذلك وهو يَشْعُرُ ، فلا يرَى ذلك من رأيهِ خطأً[٢٨٥] ولا من فِعْلِهِ زللاً ، وإنَّما يستخرجُ ذلك فراغُ [القلب و] اللِّسانِ ممَّا يُكَلَّفُ أَهلُ الدِّينِ والكُتَّابُ والحُسَّابُ ، أَو فراغُ اليَدِ ممَّا يكلَّفُ الأَساورة ، أَو فراغُ البدن ممَّا يكلَّفُ التُّجَّارُ والمَهَنَةُ والخَدَمُ .

اعلموا أَنَّ الملكَ ورعيَّته جميعاً يحقُّ عليهم أَن لا يكون للفراغِ عندهم موضعٌ فإنَّ التَّضييعَ في فراغِ المَلِك ، وفسادَ المملكةِ في فراغِ الرَّعيَّة[٢٨٦] .

واعلموا أَنَّا على فَضْلِ قُوَّتنا وإجابَةِ الأُمورِ إيَّانا وحِدَّة[٢٨٧] دولتنا وشِدَّةِ بأْسِ أَنصارِنا وحُسْنِ نيَّةِ وزرائنا لم نَستطع إحكامَ تفتيشِ النَّاسِ حتَّى

بلغنا[٢٨٨] من الرعيَّةِ مكروهها [٦١] ومن أنفسنا مجهُودَها .

٣٥ – اعلموا أنَّه لا بُدَّ من سَخَطٍ[٢٨٩] سيحدثُ لكم عن بَعْضِ أَنصارِكُمْ ونُصحائكم[٢٩٠] ولا بُدَّ من [رضًى][٢٩١] سيحدث لكم عن بعضِ أعدائكم المعروفين بالغشِّ [لكم ، فلا تحدثوا ، عندما يكون من ذلك ، انقباضاً عن المعروفِ بالنَّصيحَةِ ، ولا استرْسالاً إلى المعروفِ بالغشِّ][٢٩٢] .

٣٦ – قد خلَّفْتُ عليكم رأيي إذ لم أَستطعْ تخليفَ بَدَني، وقد حَبَوْتُكُمْ بما حَبَوْتُ به نفسي ، وقَضَيْتُ حَقَّكم بما آسَيْتُكُمْ بهِ من رأيٍ ، فاقضوا حقِّي بالتَّشفيع لي في صلاحِ[٢٩٣] أنفسكم والتَّمسُّك بعهدي[٢٩٤] ، فإنِّي قد عهدتُ إليكم عهدي وفيه صلاحُكُمْ وصلاحُ ملوككُمْ وعامَّتِكُمْ[٢٩٥] ، ولن تَضيعوا ما احتفظتُمْ بما رسمتُ لكم[٢٩٦] ،

ولولا اليقين بالبوارِ النَّازِلِ على رأسِ ألفِ سنَةٍ[٢٩٧] لظَنَنْتُ أَنِّي قد خَلَّفْتُ فيكم ما إن لم تؤثروا عليه وتمسَّكتُمْ به كان تَمَسُّكُكُمْ به علامةَ بقائكم ما بقيَ الدَّهرُ ، ولكنَّ الفناءَ إذا جاءَتْ أَيَّامُه أطعتُمْ أَهواءَكُمْ ، واستعملتُمْ آراءَكُمْ ، وتَنَقَّلتُمْ عن مراتبكُمْ ، وعَصَيْتُمْ خِيارَكم ، وأَطَعتُمْ شِراركمْ[٢٩٨] وكان أَصغَر ما تَخْبِطون[٢٩٩] فيه سُلَّماً إلى أَكثَرَ منهُ ، حتَّى تَفْتُقوا ما رَتَقْنا ، وتُوهُوا ما وثَّقْنا[٣٠٠] ، وتُضَيِّعوا ما حَفِظنا . ويحقُّ علينا وعليكم أن لا نكونَ للبوارِ أَعقاباً ، ولا في الشُّؤم أعلاماً ، فإنَّ الدَّهرَ إذا أَتَى بالَّذي تنتظِرونَ اكتَفَى [٦٢] بِحِدَّتِهِ[٣٠١] .

ونحن نَدعو اللهَ لكم بنماءِ المنزلةِ وبقاءِ الدَّولةِ دعوةً لا يُميتها اللهُ مَوْتَ قائلها[٣٠٢] حتَّى المُنْقَلَب ، ونسأَلُ اللهَ الَّذي عَجَّلَ بنا وخَلَّفَكُمْ[٣٠٣]

أن يرعاكم رعايةً يَرْعى بها ما تَحْتَ أَيديكم ، وأَنْ يَرْفعَكُمْ رِفعةً يَضَعُ بها مَن عاداكم[٣٠٤] ، وأَن يُكرمكم كرامةً يُهينُ بها مَن ناوأَكُمْ ، ونَستَودِعُكُمُ اللهَ وديعةً يكفيكم بها الدَّهرَ الَّذي يُسلمكم إلى زوالِهِ[٣٠٥] وغِيَرِهِ وعثراتِهِ وعُدْوانِهِ[٣٠٦] ؛ والسَّلامُ على أَهل الموافقةِ ممَّن يأْتي عليه هذا العهد من الأُمم[٣٠٧] الكائنةِ بعدي إلى يوم القيامة[٣٠٨] .

تمّ عهد أردشير

أقوال متفرقة لأردشير

١

كتبَ أَردشير بن بابك إلى الرَّعيَّةِ كتاباً هذه نسخته[١] : «من أَردشير المؤيّد ذي البَهاءِ ، ملكِ الملوكِ ووارثِ العُظماءِ ، إلى الفقهاءِ الَّذينَ هُمْ حَمَلَةُ الدِّينِ ، والأَساورةِ الَّذين هم حَفَظَةُ البَيْضَة ، والكتَّابِ الَّذين هم زينةُ المملكة ، وذوي الحرث الَّذين هم عَمَرَةُ البلاد : السَّلامُ عليكم ، فإِنَّا بحمدِ الله صالحون ، وقد وضعنا عن رعيَّتنا بفضل رأفتِنا إتاوَتَها الموظفةَ عليها ، ونحن مع ذلك

١ عيون الأخبار ١ : ٧ وورد النصّ في مروج الذهب ١ : ٢٤٨ مع اختلاف في بعض العبارات ، وبعضه في غرر السير : ٤٨٢ وزاد فيه عبارة « وكونوا لأبناء السبيل مأوى تبروا غدواً في دار المعاد » وانظر العقد ١ : ٤١ وشرح البسامة : ٣٦ وعين الأدب والسياسة : ٢٧٧ والشهب اللامعة : ٢٤٠ وزهر الآداب : ٥٠٠ .

كاتبونَ إليكم بوصيَّة : لا تستشعروا الحقدَ فيدهَمَكُمُ العدوُّ ، ولا تحتكروا فيَشمَلَكُمُ القَحطُ ، وتزَوَّجوا في القرابين فإنَّه أَمَسُّ للرَّحِمِ وأَثبَتُ للنَّسب ، ولا تَعُدُّوا هذه الدُّنيا شيئاً فإنَّها لا تُبقي على أَحَدٍ ، ولا ترفضوها مع ذلك فإنَّ الآخرةَ لا تُنَالُ إلَّا بها » .

٢

دفع أَردشير الملك إلى رجل كان يقومُ على رأسهِ كتاباً وقال له : «إذا رأَيتني قد ٱشتَدَّ غضبي فادفَعْهُ إليَّ » . وفي الكتاب : «أَمْسِكْ فلَستَ بإِلٰه ، إنَّما أَنتَ جَسَدٌ يُوشكُ أَن يأكلَ بعضُهُ بعضاً ، ويصيرَ عن قريبٍ للدُّودِ والتُّرابِ »[٢] .

٢ عيون الأخبار ١ : ٢٧٣ وانظر قولاً مشابهاً في الشهب اللامعة : ٢٤٠ .

٣

بحسبكم دلالَةً على عَيْبِ الجَهلِ أَنَّ كلَّ إنسانٍ ينتفي منه ويغضبُ إذا نُسِبَ إليه[٣] .

٤

خيرُ الشِّيَمِ القَناعةُ ونماءُ العقلِ بالتَّعَلُّمِ[٤] .

٥

مَنْ لم يكنْ عقلُهُ أَغلبَ خلالِ الخير علَيه كان حَتْفُهُ في أَغلَبِ خلالِ الخيرِ عليه[٥] .

٣ عيون الأخبار ٢ : ٣٩ .
٤ عيون الأخبار ٣ : ١٨٦ .
٥ الكامل للمبرد ١ : ٧٥ .

٦

إنَّ للآذانِ مَجَّةً وللقلوبِ مَلَلاً ، ففرِّقوا بين الحكمتينِ يكنْ ذلك استجماماً[٦]

٧

ما شيءٌ أَضَرَّ على نفسِ مَلِكٍ منْ مُعاشَرَةِ سَخيفٍ أَو مُخاطَبَةِ وضيعٍ ، لأَنَّه كما أَنَّ النَّفسَ تصلح على مُخاطَبَةِ الشَّريفِ الأَديبِ الحسيبِ كذلكَ تفسدُ بمعاشرةِ الدَّنيءِ الخسيسِ حتَّى يقدحَ ذلك فيها ويزيلَها عن فضيلَتها ، وكما أَنَّ الرِّيحَ إذا مَرَّت بطيب حمَلَتْ طِيباً تحيا بهِ النَّفسُ وتقوى به جوارحُها ، كذلك إذا مَرَّتْ بالنَّتَنِ فحملته أَلِمَت

٦ الكامل للمبرد ٢ : ٢٨٦ وسرح العيون : ٣٧ وزهر الآداب : ١٥٦ «إنَّ للأذهان كلالاً» .

له النَّفسُ وأَضَرَّ بأَعلاقِها إضرارًا تامًّا [والفَسادُ أَسرَعُ إليها منَ الصَّلاحِ إذ كان الهَدْمُ أَسرَعَ من البناءِ ، وقد يجدُ ذو المعرفَةِ في نفسِهِ عند معاشرَةِ السّفلةِ الوُضعاءِ شهرًا فسادَ عقلِهِ دهرًا][٧] .

٨

كم من دمٍ قد سفكَهُ الرَّسولُ بغير حلِّه ، وكم من جيوشٍ قد قُتِلَتْ ، وعساكرَ قد هُزِمَتْ ، وحُرْمَةٍ قدِ انْتُهكَتْ ، ومالٍ قدِ انْتُهِبَ ، وعهدٍ قد نُقِضَ ، بخيانَةِ الرَّسولِ وأَكاذيبه[٨] .

٧ التاج : ٢٤ وكلّه في مروج الذهب ١ : ٢٤٤ وما بين معقفين زيادة منه ، وانظر سرح العيون : ٣٧ وشرح البسامة : ٣٥ وغرر الخصائص : ٤٤ وعين الأدب والسياسة : ١٦٠ والشهب اللامعة : ٦٥ .
٨ التاج : ١٢٢ والمحاسن والمساوىء : ١٥٦ .

٩

على الملكِ إذا وجَّهَ رَسُولاً إلى ملِكٍ آخرَ أَن يُرْدِفَهُ بآخر ، وإن وَجَّهَ رسولَينِ أَتبَعهما باثنين ، وإن أَمكنَهُ أَن لا يَجمعَ بين رسولَين في طريقٍ ولا ملاقاةٍ ولا يَتَعارَفانِ فيتَواطآنِ [فعل] ؛ ثمَّ عليه إن أَتاهُ رسولُهُ بكتابٍ أَو رسالةٍ من ملك ، في خير أَوْ شرٍّ ، أَن لا يُحدِثَ في ذٰلكَ خيرًا أَو شرًّا ، حتَّى يكتبَ إليهِ معَ رسولٍ آخر يحكي لهُ ما في كتابه الأَوَّلِ حرفاً حرفاً ، ومعنًى معنًى ، فإنَّ الرَّسول ربَّما حُرِمَ بعضَ ما أَمَّلَ ، فافتعلَ الكُتُبَ ، وحَرَّضَ المُرْسِلَ على المُرْسَلِ إليه ، فأَغراهُ به وكَذَبَ علَيه[٩] .

٩ التاج : ١٢٢ والمحاسن والمساوىء ١ : ١٥٦ وصبح الأعشى ١ : ٧٣ .

١٠

خطبةُ أَردشير يومَ مَلَكَ وقتلَ أَردوان وفرغ من ملوكِ الطَّوائف ووضع التَّاجَ على رأسِهِ : « الحمدُ للهِ الَّذي خصَّنا بنعمِه ، وشَمَلَنا بفَوائدِهِ وقسَمِهِ ، ومَهَّدَ لنا البلاد ، وقادَ إلى طاعتِنا العِبادَ ، نَحْمَدُهُ حَمْدَ منْ عَرَفَ فَضْلَ ما آتاهُ ، ونَشكُرُهُ شُكْرَ الدَّاري بما مَنَحَهُ واصطَفاهُ ، أَلا وإنَّا ساعُونَ في إقامَةِ منازلِ العَدلِ ، وإدرارِ الفَضلِ ، وتشييد المآثِرِ ، وعمارةِ البلادِ ، والرَّأفةِ بالعبادِ ، ورَمِّ أَقطارِ المملكة ، وردِّ ما انْخرَمَ في سائرِ الأَيَّامِ منها ، فليَسكن طائرُكُمْ أَيُّها النَّاسُ ، فإنِّي أَعُمُّ بالعدلِ القَويَّ والضَّعيفَ ، والدَّنيَّ والشَّريفَ ، وأَجعَلُ العَدْلَ سُنَّةً مَحمودَةً ، وشريعَةً مَقصودَةً ، وستَرِدُونَ في سيرتنا إلى ما تَحمدونَنا علَيهِ ، وتصدِّقُ أَفعالُنا أَقوالَنا ،

إن شاءَ اللّهُ تعالى ، والسَّلام »[10] .

١١

يجبُ أَن يكونَ الملكُ فائضَ العدل ، فإِنَّ [في] العدلِ جِماعَ الخير ، وهو الحصنُ الحَصينُ من زوال المُلكِ وتخرُّمِهِ ، وإنَّ أَوَّلَ مخايلِ الإدبارِ في المُلكِ ذهابُ العدلِ عنهُ ، وإنَّه متى خفقتْ راياتُ الجَورِ في ديارِ قومٍ كافحتها عُقَابُ العدل فَرُدَّتْ على العَقبِ[11] .

١٢

وليسَ أَحَدٌ ممَّن يصحَبُ الملوكَ ويخالطُهم أَولى

١٠ مروج الذهب ١ : ٢٤٣ وورد في سرح العيون : ٣٦ مع بعض اختلاف ، وفي عين الأدب والسياسة : ١٤٦ نقلاً عن عيون المعارف للمسعودي .
١١ مروج الذهب ١ : ٢٤٤ .

باستجماع محاسنِ الأَخلاقِ وفضائلِ الآدابِ وظرائفِ المُلَحِ وغرائبِ النُّتَفِ من النَّديمِ ، حتَّى إنَّه ليَحتاجُ أَن يكونَ له مع شَرَفِ الملوكِ تَواضُعُ العَبيدِ ، ومع عَفافِ النُّسَّاكِ مُجونُ الفُتَّاكِ ، ومع وقارِ الشُّيوخِ مزاحُ الأَحداث ، وكلٌّ واحدةٍ من هذه الخلال هو مضطَرٌّ إليها في حالٍ لا يحسنُ أَن يجلب غيرها ، وإلى أَن يجتمعَ له من قُوَّةِ الخاطرِ ما يفهم به ضمير الرَّئيسِ الَّذي يُنادمُه على حَسَبِ ما يبلوه من خلائقه ويعلَمُ من مَعاني لحظهِ وإشارَتِهِ ما يُعينُهُ على شهوَته ؛ ولا يكونُ نَديماً حتَّى يكونَ له جمالٌ ومروءةٌ ، فأَمَّا جمالُهُ فنَظافَةُ ثوْبهِ وطيبُ رائحَتهِ وفَصاحَةُ لسانِهِ ، وأَمَّا مروءَتُهُ فكَثَرَةُ حَيائهِ في انْبساطِهِ إلى الجَميلِ ووَقارِهِ في مَجلسهِ مع طَلاقَةِ وجْههِ في غير سَخَفٍ ، ولا يَستكملُ المرُوءَةَ حتَّى يَسلُوَ عنِ اللذَّة[12] .

١٢ مروج الذهب ١ : ٢٤٥ .

١٣

وكتبَ أَردشير إلى بعض عُمَّاله : «بَلَغني أَنَّكَ تُؤثرُ اللِّينَ على الغِلْظةِ ، والموَدَّةَ على الهَيبَةِ ، والجُبنَ على الجُرْأَةِ ، فليَشْتَدَّ أَوَّلُكَ ، ولْيَلِنْ آخرُكَ ، ولا تُخْلِيَنَّ قَلباً من هَيبَة ، ولا تُعَطِّلَنَّهُ من مَوَدَّة ، ولا يبعَدْ عليك ما أَقولُ [لك] ، فإِنَّهما يَتَجاوران »[١٣] .

١٤

الحقوقُ الَّتي يجبُ على النَّاسِ اعتقادُها والقيامُ بها أَربَعةٌ : فأَوَّلُها حقُّ اللهِ ، والواجبُ فيه شكرُهُ على آلائِهِ ونعمائِهِ ، والمصير إلى ما أَمرَ به والانتِهاء عن كُلِّ ما نَهَى عنهُ والرِّضَى بكُلِّ ما قدَّرَ وقضَى ؛

١٣ مروج الذهب ١ : ٢٤٨ .

والثَّاني حَقُّ السُّلطانِ ، وذلك في حُسْنِ الطَّاعةِ له والنَّصيحةِ ؛ والثَّالثُ حَقُّ النَّفسِ ، وذلك في رعايتها بما يَنفعُها وإنالَتِها ذلك ، وفي حِمايتِها عَمَّا يَضُرُّها وصَرفِ ذلكَ عنها ؛ والرَّابعُ حَقُّ النَّاسِ وذلكَ بأَن يعمَّهم بالموَدَّةِ وبالشَّفَقَةِ وبالمَعونَةِ وبالنَّصيحة[١٤] .

١٥

وقالَ أَردشير حينَ حَضرَتِ الوُفودُ لتَهنئَتهِ بالمُلك : «قد أَنزَلَ اللهُ الرَّحمةَ ، وجمَعَ الكلمةَ ، وأَتَمَّ النِّعمةَ ، واستَخلَفَني على عبادِهِ وبلادِهِ ، لأَتَدارَكَ أَمرَ الدِّينِ والمُلكِ اللَّذينِ هما أَخَوان تَوْأَمان ، وأُقيمَ رسومَ العدلِ والإِحسانِ »[١٥] .

١٤ السعادة والإسعاد : ٣٤٥ .
١٥ غرر السير : ٤٨١ .

١٦

لا سلطانَ إلَّا بالرِّجالِ ، ولا رجالَ إلَّا بالمالِ ، ولا مالَ إلَّا بالعمارة ، ولا عمارةَ إلَّا بعدلٍ وحُسْنِ سياسَةٍ[١٦] .

١٧

لا صَلاحَ للخاصَّةِ مع فسادِ العامَّةِ ، ولا نظامَ للدّهماءِ مع دولةِ الغوغاءِ ، وسلطانٌ تَخافُه الرَّعيَّةُ خيرٌ لها من سلطانٍ يَخافُها[١٧] .

١٦ غرر السير : ٤٨٢ والتمثيل والمحاضرة : ١٣٦ وثمار القلوب : ١٧٨ وغرر الخصائص : ٦٢ والشهب اللامعة : ٢٦ وفيه عبارة مشابهة منسوبة لأنوشروان وكذلك هناك عبارة مشابهة في سراج الملوك : ٨٨ وورد النص في كتاب الآداب : ٢٧ منسوباً لعمرو بن العاص .

١٧ غرر السير : ٤٨٢ والتمثيل والمحاضرة : ١٣٦ وثمار القلوب : ١٧٨ .

١٨

لا يكونُ العمرانُ حيثُ يجورُ السُّلطانُ ، وسلطانٌ عادلٌ خيرٌ من مطرٍ وابلٍ ، وأَسَدٌ حطُومٌ خيرٌ من مَلِك ظَلُومٍ ، وسلطانٌ غَشُومٌ خيرٌ من فتنَةٍ تَدومُ[١٨] .

١٩

كلُّ النَّاسِ أَحِقَّاءُ بالكَرَمِ ، وأَقَلُّهمْ عُذْرًا في تركِهِ الملوكُ لقُدرَتِهم علَيهِ[١٩] .

٢٠

شَرُّ السَّلاطينِ مَنْ خافَهُ البريءُ[٢٠] .

١٨ غرر السير : ٤٨٢ وورد النص في محاضرات الراغب ١ : ١٦٩ منسوباً لعمرو بن العاص .

١٩ غرر السير : ٤٨٣ .

٢٠ غرر السير : ٤٨٣ .

٢١

المُلكُ بالدِّينِ يَبقَى ، والدِّينُ بالمُلْكِ يَقْوى [٢١] .

٢٢

الملوكُ يؤدِّبونَ بالهجرانِ ، ولا يُعاقِبونَ بالحرْمان [٢٢] .

٢٣

اْعلَموا أَنَّا وإِيَّاكم كالبَدنِ الواحدِ الَّذي ما وَصَلَ إِلى بعضِ أَعضائهِ من راحَةٍ وأَذًى فهو لسائر الأَعضاءِ ماسٌّ ، وإِلى كلِّها واصلٌ ، وفيكم قومٌ هم

٢١ غرر السير : ٤٨٣ .
٢٢ غرر السير : ٤٨٣ .

بمنزلَةِ الرُّؤوسِ الَّتي تُقيمُ الأَوْصالَ ، وقومٌ بمنزلةِ الأَيدي الَّتي تَدفَعُ المضارَّ وتجلبُ المنافعَ ، وقوْمٌ بمنزلَةِ القُلوبِ الَّتي تُفكِّرُ وتُدبِّرُ ، وقومٌ بمنزلَةِ ما دونَها منَ الأَعضاءِ الَّتي هيَ أَعوانُ الجسمِ على مصالحهِ ، فليكن تَعاضدكم وتَناصحكم وموتُ الأَحقادِ والضَّغائنِ بينَكم على حَسَبِ هذه الحال [٢٣] .

٢٤

الخراجُ عَمودُ المُلكِ ، وما اسْتَغْزَرَ بمثْلِ العَدْلِ ، وما استَنْزَرَ بمثل الجَوْرِ [٢٤] .

٢٥

رفَعَ أَهلُ إِصطَخْرَ إِلى أَردشيرَ يَشكونَ إِمساكَ

٢٣ غرر السير : ٤٨٣ .
٢٤ غرر السير : ٤٨٤ وعين الأدب والسياسة : ١٤٧ .

القَطْر وسوءَ أَثَرِ القَحط فوقَّعَ : «إذا بَخلَتِ السَّماءُ بقَطْرِها ، جادَتْ سحابتُنا بدَرِّها ، وقد أَمرْنا لكم بما يجبرُ كَسْرَكُمْ ويُغني فقرَكُمْ »[25] .

٢٦

إذا رغبَ الملكُ عنِ العَدْلِ رغبَتِ الرَّعيَّةُ عن طاعَتِه[26] .

٢٧

مَنْ مَنَعَ المالَ من سَبيل حَمْدِهِ وَرِثَهُ مَنْ لا يَحْمَدُهُ[27] .

٢٥ غرر السير : ٤٨٤ .
٢٦ التمثيل والمحاضرة : ١٣٦ والشهب اللامعة : ٢٦ وزهر الآداب : ٢١٢ .
٢٧ التمثيل والمحاضرة : ١٣٦ .

٢٨

حَقيقٌ على كلِّ مَلكٍ أن يَتَفَقَّدَ وزيرَهُ ونَديمَهُ وحاجبَهُ وكاتبَهُ ، فإِنَّ وزيرَهُ قَوَامُ مُلكه ، ونَديمَهُ بيانُ مَعرفتهِ ، وكاتبَهُ وكيلُ مَعرفتِهِ ، وحاجبَهُ برْهانُ سياستِه[28] .

٢٩

قيل لأَردشير : مَن الَّذي لا يَخافُ أَحَدًا ؟ قال : الَّذي لا يَخافُهُ أَحَدٌ ، فمنْ عَدلَ في حُكْمهِ ، وكفَّ عن ظُلْمهِ ، نَصَرَهُ الحَقُّ ، وأَطاعَهُ الخَلقُ ، ومَلَكَ القُلوبَ ، وأَمِنَ الحُرُوبَ ، وإنَّ أَوَّلَ العَدْلِ أَن يَبْدأَ الإِنْسانُ بنَفسِهِ فيلزمها كلَّ خَلَّةٍ زكيَّةٍ ،

٢٨ لباب الآداب : ٥٥ .

وخَصْلَةٍ مَرْضِيَّةٍ ، ومَذْهَبٍ سديدٍ ، ومكسبٍ حَميدٍ ،
لِيَسلَمَ عاجِلاً ، ويَسْعَدَ آجِلاً[٢٩] .

٣٠

أَخْوَفُ ما تكونُ العامَّةُ آمَنُ ما تَكونُ الوزراءُ[٣٠] .

٣١

الحاسِدُ هالِكٌ[٣١] .

٣٢

الرَّأيُ أَحدُ أَعوانِ العَقل ، وركوبُ الهوَى ضدُّ

٢٩ لباب الآداب : ٥٧ .
٣٠ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠
٣١ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .

الحَزْمِ ، والحاجَةُ تَفْتُقُ الحيلَةَ[٣٢]

٣٣

السَّرَفُ في الشَّهواتِ من أَعظَمِ الآفات[٣٣]

٣٤

لا قَدْرَ لِمُدَّةِ الأَعمار ، معَ مرُورِ اللَّيلِ والنَّهار[٣٤] .

٣٥

استدمْ ما تُحبُّ بحُسْنِ الصُّحبَةِ له ، يَطُلْ

٣٢ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .
٣٣ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .
٣٤ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .

مكثُهُ علَيك[٣٥] .

٣٦

فعلُ الشَّرِّ مِنْ قِلَّةِ الحيلَةِ[٣٦] .

٣٧

العادلُ فائزٌ والمُعتَسِفُ على سَبيلِ الهَلَكَة[٣٧] .

٣٨

مَنْ زَرَعَ في أَرْضٍ مُخصِبَةٍ زكا رَيْعُهُ ، ومَنْ

٣٥ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .
٣٦ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .
٣٧ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .

بَذَرَ الحكمَةَ عندَ القابِلينَ لَها حَسَّنَ آثارَها[٣٨] .

٣٩

مَنْ وَقَّرَ قَدْرَهُ جَلَّ[٣٩] .

٤٠

تَجاوُزُ القَدْرِ في التَّبذُّلِ ، يَحملُ المَرءَ على التَّذَلُّلِ[٤٠] .

٤١

مِنْ كُلِّ مَفقودٍ عِوَضٌ إلَّا العَقل[٤١] .

٣٨ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .
٣٩ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .
٤٠ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .
٤١ لباب الآداب : ٤٣٩ — ٤٤٠ .

٤٢

كَتَبَ إلى أَردشير جماعةٌ من بطانَتهِ يَشكون سوءَ حالِهم ، فوَقَّع : «ما أَنصفكمْ مَنْ أَحوَجكم إلى الشَّكوَى» (يعني نَفسَه ، ثمَّ فرَّقَ فيهم مالاً) [42] .

٤٣

كَتَبَ إليه مُنتَصحٌ : إنَّ قَوْماً اجتَمَعوا على سَبِّك ، فوقَّع : «إن كانوا نَطقوا بأَلسِنَةٍ شتَّى ، فقَد جَمَعتَ ما قالوهُ في وَرَقَتك ، فجرحُكَ أَعجبُ ، ولسانُكَ أَكذَبُ» [43] .

٤٢ سرح العيون : ٣٧ .
٤٣ سرح العيون : ٣٧ .

٤٤

كاتَبَ ملوكَ الطَّوائفِ بكتابٍ طويلٍ أَوَّلُهُ : «مِنْ أَردشيرَ بن بابك المُستأثَرِ دونه ، المغلوبِ على تُراثِ آبائهِ ، الدَّاعي إلى اللهِ ، المُستنصرِ بهِ ، فإنَّهُ وعَدَ المَظلومَ بالظَّفَرِ والعاقبَةِ ، سَلامٌ عليكُم بقَدر ما تَستَوجبونَ من معرفةِ الحَقِّ وإنكارِ الباطل والجَوْرِ . . . » [44] .

٤٥

فصلٌ له من كتابٍ يخاطبُ فيهِ وزراءَه : «اعلَموا أَنَّكُم إنْ هَمَمتُمْ أَلَّا تَستَعينُوا إلَّا بمَنْ تكامَلَتْ فيهِ الخِصالُ الرَّضيَّةُ وأَحرَزَ المَذاهبَ

٤٤ نهاية الأرب ١٦ : ١٦٦ وشرح البسامة : ٣٣ .

المَحمودَةَ فقَد رمتُمْ شيئاً عَسيراً غيرَ مَوْجودٍ ، فاكتَفوا من دِينِ المرءِ وَوَرَعِهِ بأَنْ يكونَ للكبائرِ والفَواحِشِ مُجتَنِباً ، ومِنَ الإصرارِ على العسْفِ والظُّلمِ مُستَوْحِشاً ، ومن أَمانَتِهِ وعَفافِهِ أَنْ يكون عمَّا يعرضُ له من طَمَعٍ وأَمرٍ ، في دخولِهِ ظاهرُ نَقْصٍ أَوْ ضرَرٌ ، مُتَنَزِّهاً ، ومن غَنائهِ ونفاذِهِ أَن يكونَ بالعَمَلِ الَّذي تَسْتَعينونَ بهِ فيهِ مُضطلعاً ، وأَن لا يُضيعَ لكُم فيما يَلي من أُمورِكُم حَقًّا ؛ وٱعلَمُوا أَن لكُم أَعمالاً يكفيكموها مَنْ دُونَكم ، وأَعمالاً لا يَضطَلعُ بها سواكُم ، فاعرفوا حدودَ ذلكَ ، ولا تَتكَلَّفوا ما يَكفيكموه مَنْ تَحتَ أَيديكُم ، ولا تُكَلِّفوا ما يجبُ عليكم النَّظَرُ فيهِ سواكُم ، فإِن حَدَثَ لكُم فراغٌ بعدَ قضائكُم ما عليكم ، فاستَعينُوا بالتَّوَدُّعِ والرَّاحَةِ على ساعاتِ الشُّغْلِ »[45].

٤٥ الوزراء والكتّاب : ٨ .

٤٦

الشِّدَّةُ كحلٌ ترى بهِ ما لا تَراهُ بالنِّعمَة[46] .

٤٧

عَمَّت أَزْمَةُ المَملَكَةَ فوقَّعَ : «منَ العَدْلِ أَنْ لا يَفرَحَ الملكُ ورعيَّتُهُ محزُونُون »[47] .

٤٨

ما الكِبْرُ إلَّا فضلُ حمقٍ لمْ يدْرِ صاحبُهُ أَينَ يَضَعُهُ فَصَرَفَهُ إلى الكبر[48] .

٤٦ المكافأة : ١٤٧ .
٤٧ العقد ٤ : ٢٢٢ .
٤٨ غرر الخصائص : ٤١ والشهب اللامعة : ١٤٢ .

٤٩

وقال لمَّا كملَ ملكُهُ وأبادَ أعداءَهُ : «إنَّهُ لَمْ يحكمْ حاكمٌ على العُقولِ كالصَّبر ، ولَمْ يُحكمْها مُحْكِمٌ كالتَّجربَة ، وليسَ شيءٌ أَجمَعَ للْعَقل من خَوْف وحاجَة يَتأَمَّلُ بهما صفات حالهِ »[٤٩] .

٥٠

لمَّا خَطَبَ أَردشير أَوَّلَ خطبَةٍ قامَ مُتَكلِّمٌ فأَثْنَى علَيهِ ، فقالَ أَردشير لمَّا سمعَ كلامَهُ : «طُوبَى للمَمدُوحِ إذا كانَ للمَدْحِ مُستَحِقًّا ، وللدَّاعي إذا كانَ للإجابَةِ أهلاً »[٥٠] .

٤٩ سراج الملوك : ١٠٥ .
٥٠ زهر الآداب : ٢٠٧ .

٥١

قيلَ لأَردشير : أَيُّها الملكُ الرَّفيعُ الَّذي حَلَبَ العُصورَ وجَرَّبَ الدُّهورَ ، أَيُّ الكُنوزِ أَعظَمُ كَنْزًا ؟ قال : العلْمُ الَّذي خَفَّ مَحْمَلُهُ فثَقُلَتْ مَفارِقُهُ وكَثُرَتْ مَرافِقُهُ ، وخفيَ مكانُهُ فأُمِنَ منَ السَّرَقِ علَيه ، فهو في الملإِ جَمالٌ ، وفي الوَحدَةِ أَنيسٌ ، يرئسُ بهِ الخَسيسُ ولا يُمكن حاسدكَ علَيهِ انتِقاله عَنك .

قيلَ لهُ : فالمالُ ؟ قال : ليسَ كذلِكَ ، مَحْمَلُهُ ثَقيلٌ ، والهَمُّ بهِ طَويلٌ ، إن كنتَ في مَلإٍ شغَلَكَ الفكرُ فيهِ ، وإن كنتَ في خلوَة أَتعَبَتْكَ حراستُهُ[٥١] .

٥١ زهر الآداب : ٢٠٧ .

٥٢

قالَ أردشير يصفُ الورد : «هوَ دُرٌّ أبيَضُ ، وياقُوتٌ أحمَرُ ، على كراسي زبَرْجد أخضَرَ ، توسَّطُهُ شُذورٌ من ذَهَبٍ أصفَرَ ، له رقَّةُ الخَمرِ ، ونَفَحاتُ العطرِ »[٥٢] .

٥٣

كانَ أردشير إذا أنْفَذَ كاتِباً إلى طَرَفٍ مِن أطرافِ المملَكةِ أوصاهُ وقالَ : «لا تبعْ جواهرَ الرِّجالِ بأعراضِ الأَمْوالِ ، ولا يكُنْ لكَ مطْلُوبٌ سوَى الإصلاحِ والسَّدادِ ، وتَجَنَّبْ عَنْ مَظانِّ الحرصِ والفَسادِ ، ولا تَستَصحبْ مِنْ أوْلادِكَ وأقاربكَ أحَدًا ، وحَسْبُكَ بمَنْ نضُمُّ إليكَ عَوْناً ومُلْتَحدًا ، واجعَلْ

٥٢ زهر الآداب : ٥٢٤ .

عليكَ للفُقراءِ كلَّ شهرٍ راتباً لا تُخِلُّ بهِ ؛ ومن يَحسدْكَ فاحرمْهُ مَعروفَكَ ولا تَعتَنِ بأمره»[٥٣] .

٥٤

ومن وَصيَّتِهِ إلى مُقدَّم الجَيشِ حينَ يُخرجه للحَرْب : «لا تكُنْ في أمركَ مُتَوانياً ولا نَزقاً ولا بادئاً بالقتالِ ، وإذا عَبَّيتَ الصُّفوفَ فلا تَجعَلِ الفيَلَةَ إلَّا أمامَ الكُلِّ ، وفَرِّقِ الطَّلائعَ إلى أرْبعَةِ أميال ، وإذا قامَتِ الحَرْبُ فطُفْ بنَفسكَ على العسكر ، وصغِّرْ أمْرَ العَدوِّ في أعيُنهم ، وقَوِّ قلوبَهُمْ ، وعِدْهُمْ بعواطفِنا ومبارِّنا ، ومَنِّهِمْ بأعطيتنا وصِلاتنا ، واحفَظْ قلبَ العَسكَرِ عندَ اللِّقاءِ واثبت مكانَكَ ، وإيَّاكَ أنْ يَخرُجَ منهُم أحَدٌ وإن كَثُرَ العَسكَرُ وكَثُفَ الجَمعُ . واجهدْ أن تَحمِلَ ميْمنتَك

٥٣ الشاهنامة ٢ : ٥٤ .

على مَيسَرَةِ العَدوِّ فيُفرِغوا وُسْعَهُمْ ويَبذُلوا جهدَهُم ،
ثمَّ تحملُ ميسرَتُكَ على مَيمَنتهم بقُلوبٍ مُتَّحدَةٍ
وقُوًى مُتَعاضِدَةٍ ، ولا يُزايلْ قلبُ العسكر مَكانَه ،
ويكون شبهَ البنيانِ المَرْصوصِ لا يَتَحَرَّكُ منهُم
أَحَدٌ إلَّا أَنْ يتحرَّكَ قَلْبُ العدوِّ ، فحينَئذ تَزْحَفُ
بقَلبِكَ إلَيهِمْ ، وإذا رُزقتَ الظَّفَرَ وانهَزَمَ العَدوُّ
فلا تَسفكِ الدِّماءَ ، ومنِ استأْمنَكَ منهم فأَعطِهِ
الأَمانَ ؛ وإذا وَلَّاكَ العدوُّ ظَهرَهُ فلا تُمكِّنْ عسكرَكَ
منَ النَّهبِ والغارَةِ ، ولا تأْمَنْ أَن يَخرُجَ العَدُوُّ
علَيكَ منَ المَكمَنِ ؛ ثمَّ اجمَعْ – بعدَ أَن تأْمَنَ
العدوَّ – المغانمَ واقسمها على مَنْ باشَرَ الحرْبَ
بنفسهِ وعرَّضَ للهَلاكِ مُهجَتَهُ ؛ ثمَّ مَنْ حَصلَ في
يَدكَ أَسيرًا فجَهِّزْهمْ إليَّ حتَّى أَبتَنيَ لَهم مَدينةً
وأُسكِنَهم إيَّاها ؛ واحفَظْ هذهِ الوَصيَّةَ ولا تعدلْ
عن مُقتَضاها حتَّى تَسلَمَ وتغنم »[54] .

٥٤ الشاهنامة ٢ : ٥٥ .

٥٥

لمَّا مَرِضَ مَرَضَ المَوتِ استَحضرَ ولدَهُ سابور
وعهدَ إليهِ وأَوْصاهُ وصيَّةً قالَ في آخرها : « وإنِّي
ملَكتُ اثنتَينِ وأَربَعينَ سنَةً [كذا] وبنَيتُ ستَّ
مدائنَ كالجِنانِ المُزَخرَفةِ ، وها أَنا أَرتَحِلُ إلى
النَّاوُوسِ ، ثمَّ إمَّا إلى نَعيمٍ وإمَّا إلى بُوسٍ ، فعَلَيكَ
بالعَدلِ بين الرَّعيَّةِ والإحسان إلى الخَليقَةِ »[55]

٥٦

تَعطيلُ الحُدودِ تَضرِيَةٌ للمُجرمينَ ، ويَومُ العدلِ
على الظَّالمِ أَمَرُّ منْ يوْمِ الظَّالمِ على المَظلومِ[56] .

٥٥ الشاهنامة ٢ : ٥٦ – ٥٧ .
٥٦ المحاسن والمساوىء : ٥٠٤ .

تعليقات ومقارنات

بين نسخ عهد أردشير

١ سقطت البسملة من ر وموضعها في م « باسم وليّ الرحمة ».
٢ م ر : من ملك الملوك أردشير . وفي رسائل البلغاء : من ملك الملوك أزدشير بن بابك إلى من يخلف من الملوك . السلام عليكم .
٣ رم : يخلفه .
٤ رم : أمّا بعد فإنّ .
٥ التاج : ٨٩ وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك **إذ كانت صيغتهم غير صيغة العامة** ، كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك .
٦ ص : الأربعة .
٧ م ر : والعبث والبطر .
٨ له : سقطت من م .
٩ م : زاده .
١٠ م : الأربعة .
١١ ذلك منه : سقطت من م ر .
١٢ م ر : الشراب .
١٣ كذا في ص ولم ترد في م ر .

١٤ كلّ ما يرد بين معقفين زيادة من م ر إلاّ إذا نبّه على انفراد إحدى النسختين .

١٥ م : فيرسل يده ولسانه بالفعل والقول ؛ ر : فيرسل يده بالفعل ولسانه بالقول . والعبارة من قوله « فالملك بطبعه . . . والفعل » : تقابل في رسائل البلغاء : « إن من أخلاق الملوك الأنفة والجراءة والبطر والعبث ، وكلّما دامت سلامة الملك في ملكه قويت هذه الأخلاق عليه حتّى يغلب عليه سكر الملك الذي هو أشدّ من سكر الخمر فيظن أنّه قد أمن النكبات والعثرات فيبسط يده ولسانه بالقبيح فيفسد باعتماده جميع ما أصلحه الملوك قبله ، فتعود المملكة خراباً » .

١٦ أولئك : سقطت من م ر .

١٧ وقدرته . . . وفكرة : سقطت هذه الجملة من م .

١٨ قوله « وقد كان من أولئك الملوك » يقابله في رسائل البلغاء : « وأفضل الملوك الذي يتذكّر في عزّه الذلّ وفي أمنه الخوف وفي قدرته العجز فيجمع بين بهجة الملوك وحذر الرعيّة ولا خير إلاّ في جمعهما » .

١٩ م ر : لقيني .

٢٠ م ر : وهي بعدي .

٢١ بمثل . . . عليّ : سقطت من م .

٢٢ ص : وخطيه .

٢٣ به منه : سقطت من م .

٢٤ م : ومنكم .

٢٥ م : المذلين .

٢٦ ر م : قلبه .

٢٧ ر م : العبث والملاهي .

٢٨ ر : التوطئة .

٢٩ ر م : سرّاً ومعلناً .

٣٠ ص : وقدموا قبلي للغدر وخلقت .

٣١ م : تكسر بها سكور الفساد وتهاج بها قربات البلاء ، والعبارة في ر كذلك إلاّ أن كلمة « دواهم » جاءت في موضع « قربات » .

٣٢ ر م : اللطيف .

٣٣ م : ينهتك .

٣٤ للشبهة : سقطت من م .

٣٥ زيادة من ر .

٣٦ م ر : به متشبه .

٣٧ م ر : بغير تدبير يدرك .

٣٨ واستفسد : سقطت من م ر .

٣٩ م ر : من الصلاح ، ويخلف .

٤٠ م ر : على من بعده ، وانظر التعليق رقم ١٥ حيث جاءت هذه العبارة في نص رسائل البلغاء .

٤١ م ر : ستبلون .

٤٢ م ر : والأنصار والأصحاب .
٤٣ ص : والمتنصحين .
٤٤ م ر : والمزينين .
٤٥ م ر : وإنّما .
٤٦ م ر : الملوك .
٤٧ م ر : والعامة .
٤٨ م ر : شكية .
٤٩ م ر : أنّه في التماس الربح على السلطان فساد جميع الأمور .
٥٠ رسائل البلغاء : « فإن رشاد الملك خير من خصب الزمان » والكامل للمبرّد ١ : ٢٦٩ وفي عهد أردشير : وقد قال الأوّلون منّا : « عدل السلطان أنفع للرعيّة من خصب الزمان » . وانظر غرر السير : ٤٨٣ ومحاضرات الراغب ١٦٣:١ «عدل السلطان خير من خصب الزمان» — دون نسبة.
٥١ أخوان : سقطت من ر .
٥٢ م ر : فإن ما . . . وإن ما .
٥٣ وردت هذه العبارة في كثير من المصادر على صور مختلفة ، ففي رسائل البلغاء : « الدين أساس الملك والملك حارس الدين فلا يقوم أحدهما إلا بالآخر » . وفي عيون الأخبار « إن الملك والدين أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر ، فالدين أس والملك حارس ، وما لم يكن له أس فمهدوم ، وما لم يكن له حارس فضائع . . . إلخ » وقد قال ابن قتيبة إن هذا في

كتاب من كتب العجم وإنّه يخاطب بهذا القول ابنه ، وكذلك قال المسعودي في مروج الذهب (١ : ٢٤٨) إنّه ممّا حفظ من وصيّة أردشير لابنه سابور عند نصبه إيّاه للملك ، وأورد العبارة نفسها ، وانظر لباب الآداب : ١٨ ونهاية الأرب ٦ : ٣٥ والعقد ١ : ٢٣ وسراج الملوك : ١٠٣ وشرح البسامة : ٣٦ وعين الأدب والسياسة : ٢٥٨ وغرر الخصائص : ٦٣ ومحاضرات الراغب ١ : ١٦٧ .
٥٤ ر : وتأويله ؛ ر : والتفقه . والعبارة : وتلاوته . . . السلطان: سقطت من م .
٥٥ ر : الملك .
٥٦ ر : فتحدث في الدين .
٥٧ م ر : ولم يجتمع ، ولم ترد عبارة « واعلموا أنّه » .
٥٨ في رسائل البلغاء : « إيّاكم أن تتهاونوا بمن يطلب الرياسة بإظهار الزهد والغضب للدين ، فما اجتمع الناس على رئيس في الدين إلاّ انتزع ما في يد الملك من ملكه ، فإن الناس إلى رئيس الدين أميَل» . وفي لباب الآداب: ٤٣ : « وينبغي أن تكون الملوك أغلب على الدين من المدعين له ويحذروا مبادرة السفل إيّاهم إلى دراسة الدين وتأويله والتفقه فيه لئلاّ يحدث في الناس رياسات مستسرّة في من صغروا قدره من سفل الرعيّة وحشو العامة فإنّه لم يجتمع قطّ رئيس دين ورئيس ملك إلاّ انتزع الرئيس في الدين ما في يد الرئيس من الملك »

والعبارة أقرب إلى نصّ الغرّة وإن حُوّلت إلى ضمير الغائب ، ولكن أسامة أوردها دون نسبة .

٥٩ ص : يجمع .

٦٠ ص : قد .

٦١ ر : بالتفتيش ؛ م ر : والجماعات بالتفصيل .

٦٢ م ر : وغسل الدرن والغمر .

٦٣ زيادة من ر .

٦٤ م ر : أفرح وأبهج .

٦٥ ص : وصناعات .

٦٦ م ر : الباقي .

٦٧ م ر : ويشاورونه .

٦٨ م ر : أراد .

٦٩ رم : ابتعاثه .

٧٠ م : تتقى الغير .

٧١ رم : اعلموا .

٧٢ ر : على ما في أيديهم .

٧٣ العبارة واعلموا أن سلطانكم . . . عقولهم ، ورد ما يشبهها في كتاب لباب الآداب : ٧٢ « وإنّما سلطان الملك على الأجساد دون القلوب فإن غلب الناسَ على ذات أيديهم فلن يقدر أن يغلبهم على قلوبهم » — ورد دون نسبة — وفي نهاية الأرب ٦ : ١٦ وقال أردشير لأصحابه : « إنّي إنّما أملك

الأجساد لا النيات وأحكم بالعدل لا بالرضى وأفحص عن الأعمال لا عن السرائر » . وذكر ابن قتيبة هذه العبارة في عيون الأخبار ١ : ٨ وقال : إنّه قرأها في كتاب الآيين وإنّها لبعض ملوك العجم قالها في خطبة له ؛ وانظر العقد ١ : ٢٥ . وقال الطرطوشي في سراج الملوك : ٢٠٠ إن أردشير وقع بهذه العبارة لما رفع إليه أن جماعة من بطانته قد فسدت نيّاتهم ؛ وراجع غرر الخصائص : ٦٢ ومحاضرات الراغب ١ : ١٦٧ . وقارن أيضاً بقول بزرجمهر في الحكمة الخالدة : ٤٧ « واعلم أن سلطان ملوك الدنيا إنما هو على أبدان ما ملكوا وعلى ما يبدو من ظواهر أمورهم ، فأمّا نيّاتهم وما يغيب عنهم من أمورهم فلا سبيل لهم عليه لأنه غيب محجوب عنهم . . . إلخ .

٧٤ المحروم : سقطت من م ر .

٧٥ م ر : بالضعفاء المغلوبين .

٧٦ جودة : سقطت من م .

٧٧ مواتاً : سقطت من م ر .

٧٨ والمتبتلين : سقطت من م .

٧٩ ر : للملك .

٨٠ ودينهم : سقطت من م .

٨١ م : أخدانه ؛ ر : أقرانه .

٨٢ ص : أبواب ؛ ر : لأبواب محجوب؛ م: لأبواب المحجوب .

٨٣ ص : ممّا يوطن .

٨٤ م ر : الجهالة .

٨٥ ر : إن أخوف .

٨٦ قارن الفقرة : واعلموا أن تصبر الوالي . . . الوزراء ، بما جاء في رسائل البلغاء : « وإذا أذن الملك للعقلاء من مناصحي دولته في إنهاء ما يتجدد عندهم من النصائح التي لا يعلمها خواصه أو يعلمونها ويكتمونها انفتحت له أبواب من الأخبار المحجوبة عنه فيحذر وزراؤه وخواصه من الاتفاق على ما يسترونه عنه ولا يقدمون على أمر يكرهه خوفاً من أن يطالع به فيأمن مكايدهم وتسلم الرعيّة من ظلمهم ، ومن غلبت عليه خواصه حتى منعوا عنه الناس فلا يصل إليه إلاّ من يحبون أطبقت ظُلَم الجهالة عليه » وعبارة الغرة شديدة الإيجاز مع شيء من غموض في العبارة .

٨٧ م ر : اعلموا .

٨٨ ص : رأيكم .

٨٩ ص : الولاية .

٩٠ زيادة من ر .

٩١ عز ذكره : لم ترد في م ، وجاء في ر : « جلّ وعزّ » .

٩٢ قارن عبارته : « وليس تعظيمهم . . . الصواب عنهم » بما جاء في رسائل البلغاء : « ولا ينبغي للملك أن يعتقد أن تعظيم الناس له هو بترك كلامه ، ولا أن إجلالهم له هو بالتباعد

عنه ، ولا أن محبتهم هي بموافقته على جميع ما يحبّه وإنّما تعظيمهم له بتعظيم عقله وصواب سياسته ، وإجلالهم له إجلال منزلته من الله بما يجريه على يده ولسانه من العدل ، ومحبّتهم له بما يتألفهم بكريم خلقه وصادق المحبّة هو الذي يعينه على العدل وحسن التدبير بمحض النصيحة » .

٩٣ م ر : بالإصابة في السياسة .

٩٤ م ر : لمن .

٩٥ وتضرع . . . ومؤانسة : سقطت من م ، وسقطت « وبذل » من ر . و « عفو » من م .

٩٦ وجفاء ؛ وعبوس ؛ وتضييق وعقوبة : كلّها سقطت من م ر.

٩٧ م ر : لأنّ .

٩٨ م : البشر .

٩٩ م ر : وفي الرعية .

١٠٠ م ر : وقد يفسد الوالي .

١٠١ م : ويغلظ .

١٠٢ م ر : رقته لها .

١٠٣ م : ويقتل .

١٠٤ قارن الفقرة : « واعلموا أن في الرعية . . . حياتها » بما جاء في رسائل البلغاء : « إن في الرعية وحملة السلاح من الأهواء الغالبة والفجور ما لا بدّ للملك معه من أن يقرن بباب الرأفة باب الغلظة ، وباب الإنعام بباب الانتقام ، فإن

الانتقام من المفسدين حياة لبقيّة الأمة ، ومن لم يُقم حدود الله فيمن له فيه هوًى لم تثبت هيبته في قلوب الخاصة والعامة ، ولن يستطيع الملك أن يقوّم العامة حتّى يقوّم الخاصة » . وفي النص زيادة عمّا في الغرّة .

١٠٥ ر : الطباع .

١٠٦ وأن الحرب . . . الموت : سقطت من م .

١٠٧ ر : فلا دفع ولا منع ولا صدّ ولا محاماة .

١٠٨ ص : جهتين .

١٠٩ ص : نية .

١١٠ ص : عليها ؛ وفي م : ما لن يقدر .

١١١ عند الناس : سقطت من م .

١١٢ ر : في أول .

١١٣ ر م : بدء ذهاب الدول ؛ ر : يبدأ ؛ ص : تبدوا .

١١٤ ما بين معقفين سقط من ص ، ولم يبقَ إلاّ المقطع الأخير من لفظة « بطبائع » .

١١٥ م ر : ويتولد .

١١٦ م : وتضاغنهم وتطاعنهم .

١١٧ م ر : في .

١١٨ م ر : مجتمعون .

١١٩ ص : ضعيف .

١٢٠ م ر : لا يجدون .

١٢١ م ر : ولا أشدّ على البأس صبراً .

١٢٢ م ر : جمعهم .

١٢٣ م ر : ببعضهم .

١٢٤ للملك : سقطت من م .

١٢٥ م ر : من شأن .

١٢٦ م ر : الاجتماع .

١٢٧ م ر : الملك .

١٢٨ م ر : بتملكه وبنفسه .

١٢٩ م ر : الدين . . . البأس .

١٣٠ م ر : وخلت ؛ ص : بخلت .

١٣١ الحاسدة والمعادية .

١٣٢ المنافسة . . . الحاسدة : سقطت من م ر .

١٣٣ م ر : في السلاح .

١٣٤ ص : المكايدة ؛ م ر : المكيدة .

١٣٥ وأضره : سقطت من م ؛ م ر : وأخلقه بالظفر .

١٣٦ م : استظهار .

١٣٧ م ر : منكم الرعية .

١٣٨ قارن قسمته للطبقات بالنص الوارد من عهده في رسائل البلغاء : « وإن من كان قبلنا من الملوك قد رتبوا الناس أربع طبقات ، فالأمراء والجند صنف ، والعبّاد والفقهاء صنف ، والكتّاب والحكماء صنف ، والتجار والفلاحون

صنف » . وفي التاج : ٢٥ عن أردشير : « وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة وحصر كلّ طبقة على قسمتها ، فالأوّل الأساورة من أبناء الملوك ، والقسم الثاني النساك وسدنة بيوت النيران ، والقسم الثالث الكتّاب والأطبّاء والمنجمون ، والقسم الرابع : الزراع والمهّان وأضرابهم » . والخبر هنا أقرب إلى نص العهد في الغرّة ، ممّا هو في نص رسائل البلغاء . قارن هذا بقسمة أنوشروان لطبقات الناس إلى أربع في السعادة والإسعاد : ٢٠٩ ، فقد جعل العبّاد والنساك والمعلمين في الطبقة الأولى والمقاتلة في القسم الثاني والكتّاب في الثالث والزرّاع والرعاة والصنّاع والتجّار في القسم الرابع .

١٣٩ م ر : بإحياء .

١٤٠ ر : يكونن .

١٤١ زيادة من ر .

١٤٢ م ر : أوحش فيه .

١٤٣ م : أو ذنب .

١٤٤ قارن بما في رسائل البلغاء : « فلم يمكنوا صنفاً منها أن يدخل في الصنف الآخر ، لتتفرّغ كلّ طبقة للقيام بما يلزمها ، وليس أضرّ على الملك من رأس صار ذنَباً أو يد مشغولة وجدت فراغاً من شغلها » . وفي غرر السير : ٤٨٣ والتمثيل والمحاضرة : ١٣٦ وثمار القلوب : ١٧٨ وعين

الأدب والسياسة : ١٦٠ « أوحش الأشياء عند الملوك رأس صار ذنَباً أو ذنَب صار رأساً » . وفي التاج : ٢٥ وكان أردشير يقول ما شيء أسرع في انتقال الدول وخراب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتّى يرفع الوضيع إلى مرتبة الشريف ويحطّ الشريف إلى مرتبة الوضيع . وفي غرر الخصائص : ٦٣ واعلم أنّه يجب على الملك وعلى الرعيّة ألاّ يكون للفراغ عندهم موضع ، فإن التضييع في فراغ الملك وفساد الملك من فراغ الرعيّة .

١٤٥ ر : صار ضريراً .

١٤٦ م : أشياء فوق ؛ ر : فوق .

١٤٧ م : أشياء أرفع ؛ ر : الأشياء أرفع .

١٤٨ م ر : من الملوك حالاً .

١٤٩ ص : يلون .

١٥٠ م ر : منكم الرعية وقد أضيع .

١٥١ ص : في .

١٥٢ ص : فليكاثرهم .

١٥٣ م ر : يبادروا بالأخذ .

١٥٤ ص : يقولون .

١٥٥ يخافه .

١٥٦ م : يخاف .

١٥٧ م ر : ولكنما .

١٥٨ م ر : صلاحها .

١٥٩ ص : لنفسه .

١٦٠ ص : ستراً .

١٦١ م ر : واعلموا .

١٦٢ م ر : وتعبٍ ؛ ص : حفظ .

١٦٣ م ر : ومن شاء منكم .

١٦٤ ص : حتّى يكون الناس بعيبه أعلم منه ؛ وانظر معنى هذه الفقرة في رسائل البلغاء : « وخير الملوك من بعث العيون على نفسه ليعلم عيوبها فيكون أعلم بعيوب نفسه من غيره ، ثمّ يجتهد في مداواة عيب بعد عيب حتّى لا يجد أحد فيه مطعناً فهذا الذي تمت سيادته » .

١٦٥ م ر : ثم .

١٦٦ م : الذكر .

١٦٧ م : الأمر بعده .

١٦٨ م : الرعيّة .

١٦٩ واحد : سقطت من ر .

١٧٠ هذا : سقطت من م ر .

١٧١ زيادة من ر .

١٧٢ ص : أحب أصحابه .

١٧٣ م ر : جيل .

١٧٤ ص : إنزالها بعدوهم لو ولوا بعدهم .

١٧٥ ص : أضيع .

١٧٦ م : ليختر الوالي . . . . ثمّ لنفسه وليّاً . م ر : ثمّ للرعية .

١٧٧ م ر : يكتب .

١٧٨ م ر : من . . . أهل المملكة ؛ ر : عبّاد أهل .

١٧٩ م ر : لا يكون .

١٨٠ م ر : التي عند الرهط الأربعة إلى النسخة التي عند الملك ففضضن جميعاً .

١٨١ م ر : ثمّ نوّه بالذي .

١٨٢ م ر : فليس .

١٨٣ م ر : سيناله .

١٨٤ م ر : فيصمّ ويعمى .

١٨٥ ص : وبين قومه .

١٨٦ هذه الجملة التي تتحدّث عن البخل لم ترد في ر م ، ولكنها واردة في نص رسائل البلغاء .

١٨٧ ص : بغير قدرة ، والتصويب عن م ، وقد سقطت الجملة « وليس له أن يغضب . . . والندامة » من نسخة ر .

١٨٨ ر : لأن الحسد لا يجب أن يكون إلاّ على ملوك . . . الخ .

١٨٩ ص : الثغور ؛ وسقطت كلمة « أمر » من م ر .

١٩٠ ص : يبسط ، وفي م : إذ هو معور .

١٩١ قوله : « ثمّ اعلموا أنّه ليس للملك . . . أعور » يقابله

في نص رسائل البلغاء : « وليس للملك أن يبخل فإنّه لا يخاف الفقر ، وإذا عُرف بالبخل انقطع الرجاء من خيره فانسلّت الأيدي من طاعته ، ولا يجتهد أحد في خدمته ، وانحلّت النيات عن مناصحته ؛ ولا ينبغي له أن يغضب لأن الغضب مع القدرة يوجب السرف في العقوبة ثمّ يعقب الندامة مع ما فيه من الطيش والخفّة وقبح السمعة ؛ ولا ينبغي له أن يلعب لأن اللعب والعبث من أعمال الفراغ والفراغ من عمل السوقة ، وفي ذلك من ذهاب الوقار وإسقاط الهيبة ما ينافي جلال السيادة ؛ وليس له أن يحسد إلاّ ملوك الأمم على حسن التدبير وإصابة السياسة ومكارم الأخلاق ؛ ولا ينبغي له أن يجبن عند وجوب الإقدام فإن الشجاعة عز وهي من شروط الملك » . وانظر لباب الآداب ص ٧٠ — ٧١ وفي الأدب الكبير لابن المقفع ص ٥١ من رسائل البلغاء قول يجري على هذا النسق ، وراجع كذلك كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة : ٢٦ حيث يقتبس قول ابن المقفّع .

١٩٢ م ر : والنزهة .

١٩٣ قوله : « اعلموا أن زين الملك . . . يخف » يقابله في نص رسائل البلغاء : « زين الملك أن يحفظ نظام أوقاته المقدّرة لأشغاله وركوبه وراحة بدنه فتكون معينة لا تختلف فإن في اختلافها خفة وليس للملك أن يخف » .

١٩٤ م ر : اعلموا أنّكم لن تقدروا على . . . من الطعن والإزراء عليكم .

١٩٥ ص : اعلموا .

١٩٦ م ر : وليس فضل الملك . . . إلاّ بقدرته .

١٩٧ م ر : واستفادة المكارم .

١٩٨ م ر : وليس السوقة كذلك .

١٩٩ يقابل هذه الفقرة في رسائل البلغاء : « ومن الرعية من يقارب الملك في مأكله وملبسه وشهوته ، وليس فيهم من يقدر كقدرته على اجتناء المحامد وإصلاح الرعيّة بالعدل عليها وتأمين السبل وصيانة الحريم وكفّ أيدي الظالمين » وقد جاءت هذه العبارة قبل عبارة نهي الملك عن البخل والغضب واللعب والحسد . وقوله : « وإن فضل الملك . . . » ورد في سراج الملوك : ١٣١ « فضل الملك على السوقة إنّما هو بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم ، فكلّما استكثر منها بانت فضيلته واستحقاقه لموضعه من الولاية عليهم ، وكلّما نقص منها قرب من السوقة » . ويبدو أن ما جاء بعد لفظة « المكارم » إنّما هو شرح للفكرة وتوكيد لها من الطرطوشي نفسه .

٢٠٠ ص : وأن لا يكون .

٢٠١ هذه الزيادة من نسخة ر .

٢٠٢ م ر : إذا لم يبدأ بتقويم الخاصة .

٢٠٣ م ر : امرىء .

٢٠٤ حتى يجتمع . . . بطانته : سقطت من ر ؛ وفي م : حتى يجتمع في ذلك أهل المملكة .

٢٠٥ وردت هذه الفقرة والتي قبلها في سراج الملوك : ١١٩ — ١٢٠ « يحقّ على الملك أن يكون ألطف ما يكون نظراً أعظم ما يكون خطراً ، ولا يُذهب حسن نظره في الرعيّة خوفه لها ، ولا يستغني بتدبير اليوم عن تدبير غد ، وأن يكون حذره للمتملقين أكثر من حذره للمتباعدين ، وأن يتقي بطانة السوء أشد من اتقائه العامة ، ولا يطمعن في إصلاح العامة إلاّ بالخاصة — لكلّ ملك بطانة حتى يجمع ذلك جميع المملكة ، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب أقام كلّ امرىء منهم بطانته على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة الرعية (وانظر الشهب اللامعة : ٦٤) . وفي رسائل البلغاء منها : « وينبغي أن يكون حذره لمن بعد عنه أكثر من حذره لمن قرب منه ، وأن يتقي بطانة السوء أشدّ من اتقائه لعامة السوء » .

٢٠٦ م : تهون .

٢٠٧ م ر : حتى يرى .

٢٠٨ ص : يتكاتموها .

٢٠٩ م ر : كمكاتمتهم .

٢١٠ م ر : داعية .

٢١١ ص : واشتدّ .

٢١٢ ص : لا يصغي .

٢١٣ زيادة من ر .

٢١٤ ص : حتى يضيعه .

٢١٥ هكذا هي في ص ر وجاءت في م : غشّاً .

٢١٦ ورد في ص بعد لفظة « ذلك » عبارة « حيث تكرهون » .

٢١٧ ص : وحبالكم .

٢١٨ قارن قوله : « اجعلوا حديثكم . . . وشينه » بما جاء في عيون الأخبار ١ : ١٣ « يا بني ، اجعل حديثك مع أهل المراتب وعطيتك لأهل الجهاد وبشرك لأهل الدين وسرك لمن عناه ما عناك من أرباب العقول » . وانظر نهاية الأرب ٦ : ٣٤ والعقد ١ : ٢٣ وسراج الملوك : ١٠٣ وعين الأدب والسياسة : ٢٥٨ .

٢١٩ م ر : وشر .

٢٢٠ ر : منه .

٢٢١ م ر : بهما .

٢٢٢ ر : به .

٢٢٣ م ر : ساعة .

٢٢٤ م ر : فلا تكونوا له في شيء من ساعات الدهر .

٢٢٥ م ر : اتق .

٢٢٦ م : الغادر .

٢٢٧ م : أسعدو ؛ ر : بالرأي .
٢٢٨ ص : عرفت أن .
٢٢٩ ص : ما تزيد في نفسه .
٢٣٠ ص : وإذا .
٢٣١ ص : ولقوة .
٢٣٢ ر : الهوى منه ؛ ص : فيه الهوى .
٢٣٣ م ر : صنفاً ، وهي كذلك حيث وقعت .
٢٣٤ م ر : اشتهر .
٢٣٥ ر : الناس طرّاً .
٢٣٦ ر : مناصح .
٢٣٧ ص : لن .
٢٣٨ م ر : إتيان .
٢٣٩ م : بنصيحته .
٢٤٠ ر : وزرائه .
٢٤١ ر : نافقاً .
٢٤٢ م ر : أجزاء في العمل .
٢٤٣ ر : يعتد ذلك تقرّباً إليهم ويجد . . . إلخ .
٢٤٤ م ر : ويسمي هو ذلك وكثير ممّن معه تحرياً .
٢٤٥ م ر : فإن أراد الملك .
٢٤٦ م ر : أراد .
٢٤٧ م ر : قالوا إنّما نفسد ولا نصلح .

٢٤٨ قارن قوله : « وفي الرعية ضرب . . . الملوك » بما ورد في رسائل البلغاء : « ومن الناس صنف أظهروا الزهد في الجاه ولم يتقرّبوا بالخدمة وادعوا التواضع ، وهم قد أسرُّوا التكبر ، واستدعوا إلى أنفسهم الجاه بوعظ الملوك ، وقد ينفعهم ذلك عند المغفّلين فيقرِّبون منهم مَنْ حَسُنَ ظاهره ، وتلطف حتّى اعتقد خواصهم تعظيمه ، وإن كان ناقصاً في عقله عبداً لشهواته ، متهافتاً على الرياسة ، فإن أسكته الملك قيل قد استقلّ الموعظة ، وإن أطلق لسانه قال بوعظه بين الملإ ما أفسد حال الدولة ، فالرأي ألاّ يهمل الملك أمر هذه الطائفة ، فإنّهم أعداء الدول ، وآفات قويّة على الملوك » .
٢٤٩ م ر : للملوك .
٢٥٠ م ر : من .
٢٥١ م ر : وفيها عملوا ولها سعوا وإيّاها أرادوا .
٢٥٢ م : وإلا فإن ؛ ر : وإن امتنعوا ممّا في أيدي الملوك فإن فيما .
٢٥٣ غرر السير : ٤٨٣ حيث وردت هذه العبارة في غرر كلام أردشير وكذلك ثمار القلوب : ١٧٨ ونصها هنالك « القتل أنفى للقتل » . وقال الثعالبي في ثمار القلوب ، وأجلّ منه في معناه قول الله تعالى : « ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب » . وقد سقطت لفظة « بعض » من نسختَي م ر .

٢٥٤ م ر : من قبل .

٢٥٥ م ر : صلاح .

٢٥٦ ر : وجميع الناس والرعية .

٢٥٧ م ر : حتّى يقرب .

٢٥٨ م ر : حتّى يصير إلى .

٢٥٩ م ر : عمّا وراءها .

٢٦٠ م ر : والملك .

٢٦١ م ر : وساعة المشرب .

٢٦٢ م ر : وساعة اللهو .

٢٦٣ م ر : الاستقدام . . . الاستئخار .

٢٦٤ م ر : السخف ، وهو أشدّ الأمرين .

٢٦٥ ص : أقرانه .

٢٦٦ ر : من كان .

٢٦٧ م ر : عنه .

٢٦٨ م ر : سوعد .

٢٦٩ ر : إنّما وضعوا .

٢٧٠ ر : المتابعين له .

٢٧١ ر : فيغمض .

٢٧٢ م ر : على ما يحزنه .

٢٧٣ م ر : وأخاه وعمّه وابن عمّه .

٢٧٤ وردت هذه العبارة في الكامل للمبرّد ٢ : ٣١٠ .

٢٧٥ ر : كلم ذلك .

٢٧٦ ص : ستجدو . وفي رم : وستجد .

٢٧٧ م ر : والمحتملين والمتمنين .

٢٧٨ من ذلك : سقطت من م ر .

٢٧٩ م ر : لم يرج .

٢٨٠ م ر : وأهل .

٢٨١ م ر : منه إلاّ به .

٢٨٢ م : اجعلوا أولاد الملك من بنات عمومتهم .

٢٨٣ م ر : إلاّ كامل غير سخيف العقل ولا عازب الرأي ولا ناقص الجوارح ولا معيوب عليه في الدين .

٢٨٤ ر : استراح كلّ امرىء إلى ما يليه ونزع إلى جديلته وعرف حاله ؛ م : استراح كلّ امرىء على جديلته وعرف حاله .

٢٨٥ م ر : خطلاً .

٢٨٦ وقعت هذه الفقرة بعد التي تليها في ر .

٢٨٧ م : وجدة .

٢٨٨ ص : تبلغ .

٢٨٩ ص : رضًى .

٢٩٠ م ر : على بعض أعوانكم المعروفين بالنصيحة لكم .

٢٩١ بياض في ص .

٢٩٢ رسائل البلغاء : « اعلموا أنّه لا بدّ لكم من سخطة على

بعض أنصاركم ونصّاحكم وأعوانكم ، ولا بدّ من رضًى يحدث لكم على بعض أعدائكم المعروفين بالغشّ لكم » .
« فإذا فعلتم ذلك فلا تتقبّضوا عن المعروف بالنصيحة ولا تسترسلوا إلى المعروف بالغشّ » . وانظر العبارة الأخيرة فإنّها بمعنى ما زدناه من نسختي م ر .

٢٩٣ م : بإصلاح .

٢٩٤ رسائل البلغاء : « وقد خلفت عليكم رأيي إذ لم أقدر على تخليف بدني ، فاقضوا حقّي بالتمسك بعهدي » ؛ لاحظ الإيجاز بالنسبة للأصل في الغرة .

٢٩٥ م ر : وفيه صلاح جميع ملوككم وعامتكم وخاصتكم .

٢٩٦ زاد في م ر : ما لم تضعوا غيره .

٢٩٧ م : الألف من السنين .

٢٩٨ التنبيه والإشراف للمسعودي : ٩٨ « ولولا اليقين بالبوار النازل على رأس الألف (نسخة : ألف) سنة ، لظننت أنّي قد خلفت فيكم ما إن تمسكتم به كان علامة لبقائكم ما بقي الليل والنهار ، ولكن الفناء إذا جاءت أيامه أطعتم أهواءكم واطّرحتم آراءكم وملكتم شراركم وأذللتم خياركم » .
وفي م ر : أطعتم أهواءكم واستثقلتم ولاتكم . وقد سقطت منهما جملة « وأطعتم شراركم » .
(٢) رسائل البلغاء : « والسلام على أهل الموافقة ممّن يأتي عليه هذا العهد من الأمم » .

٢٩٩ م ر : تخطون .

٣٠٠ وتوهوا ما وثقنا : سقطت من م ر .

٣٠١ م ر : بوحدته .

٣٠٢ م ر : لا يفنيها . . . فناء ؛ وفي ر : ولا يميتها موت داعيها .

٣٠٣ ر : عجل بنا وأخّركم وقدّمنا وخلّفكم .

٣٠٤ وأن يرفعكم . . . عاداكم : سقطت من م ر .

٣٠٥ م ر : زياله .

٣٠٦ م ر : وعداوته .

٣٠٧ في رسائل البلغاء : والسلام على أهل الموافقة ممّن يأتي عليه هذا العهد من الأمم .

٣٠٨ إلى . . . القيامة : سقطت من م ر .

مصادر المقدمة والتحقيق

١ الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ، تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة ، ١٩٦٠) .

٢ البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي (باريس ، ١٩١٩) .

٣ التاج في أخلاق الملوك للجاحظ ، تحقيق أحمد زكي (ط . دار الكتب ، ١٩١٤) .

٤ تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطبري (تاريخ الطبري) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — دار المعارف بمصر (وطبعة ليدن) .

٥ تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني (ط . دار الحياة بيروت ، ١٩٦١) .

٦ تاريخ اليعقوبي لابن واضح اليعقوبي (ط . صادر وبيروت ، ١٩٦٠) .

٧ تجارب الأمم (المجلد الأول) لأبي علي مسكويه (تصوير بالزنكوغراف) .

٨ التمثيل والمحاضرة لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو (القاهرة ، ١٩٦١) .

٩ التنبيه والإشراف لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (الطبعة الأوروبيّة ، إعادة تصوير — مكتبة خياط ، ١٩٦٥) .

١٠ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، ١٩٦٥) .

١١ رسائل البلغاء لمحمد كرد علي (ط . لجنة التأليف ، ١٩٤٨) .

١٢ رسالة الجاحظ في ذمّ الكتّاب (ضمن رسائل الجاحظ) ، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة ، ١٩٦٥) .

١٣ زهر الآداب للحصري تحقيق البجاوي (ط . القاهرة) .

١٤ سراج الملوك للطرطوشي (ط . القاهرة) .

١٥ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، ١٩٦٥) .

١٦ السعادة والإسعاد لأبي الحسن العامري (فيسبادن ، ١٩٥٧ — ١٩٥٨) .

١٧ الشاهنامة للفردوسي (١ — ٢) ، ترجمة البنداري وتحقيق عبد الوهّاب عزام (ط . دار الكتب ، ١٩٣٢) .

١٨ شرح القصيدة البسامة لابن زيدون (ط . القاهرة) .

١٩ الشهب اللامعة في السياسة النافعة لابن رضوان (مخطوطة بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي) .

٢٠ صبح الأعشى للقلقشندي (إعادة تصوير عن الطبعة الأولى) .

٢١ العقد الفريد لابن عبد ربّه (ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

٢٢ عين الأدب والسياسة لابن هذيل (على هامش غرر الخصائص ، ط . القاهرة) .

٢٣ عيون الأخبار لابن قتيبة (طبعة مصورة عن الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية ، ١٩٦٣) .

٢٤ غرر الخصائص للوطواط (ط . القاهرة) .

٢٥ غرر السير لأبي منصور الثعالبي (طبعة باريس ، إعادة تصوير بطهران ، ١٩٦٣) .

٢٦ الفاضل لأبي العباس المبرد ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني (ط . دار الكتب ، ١٩٥٦) .

٢٧ الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل (إعادة تصوير ببيروت — مكتبة

خياط ، ١٩٦٤) .
٢٨ الكامل لأبي العباس المبرد ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ، ١٩٥٦) .
٢٩ كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة (نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة) .
٣٠ كتاب الغرة لمؤلّف مجهول لعلّه القاضي وكيع محمد بن خلف بن حيان (مخطوطة بمكتبة الأستاذ خير الدين الزركلي) .
٣١ لباب الآداب لأسامة بن منقذ ، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر (ط . القاهرة) .
٣٢ المحاسن والمساوىء للبيهقي (ط . دار صادر وبيروت ، ١٩٦٠) .
٣٣ محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (ط . دار الحياة — بيروت) .
٣٤ مروج الذهب لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي ، تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد (ط . القاهرة) .
٣٥ المكافأة وحسن العقبى لأحمد بن يوسف ، تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر.
٣٦ المنصف لابن وكيع التونسي (صورة عن مخطوطة برلين) .
٣٧ نثر الدرر للآبي (نسخة مصورة محفوظة بدار الكتب المصرية ، رقم : ٤٤٢٨ .
٣٨ نهاية الأرب للنويري (طبعة مصورة عن الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية).
٣٩ الوافي بالوفيات للصفدي (الأجزاء المطبوعة في سلسلة النشرات الإسلامية).
٤٠ الوزراء والكتّاب لابن عبدوس الجهشياري ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا وآخرين (القاهرة ، ١٩٣٧) .
٤١ Literary History of Persia (vol. 1) by Edward G. Browne, Cambridge, 1956.
٤٢ The Seventh Great Oriental Monarchy by George Rawlinson, 2 Vols., New York.

الفهرست

Copyright, 1967, *by Ihsan Abbas*

ʻAHD ARDASHĪR

Edited by
Ihsan Abbas, Ph. D.

Dar SADER
P.O.B. 10
BEIRUT, Lebanon